مُنتقى الفوائد

العلم - العقيدة - الرقائق - الدعوة إلى السنة
الأدب واحة العلماء - الفتاوى

تأليف
أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي



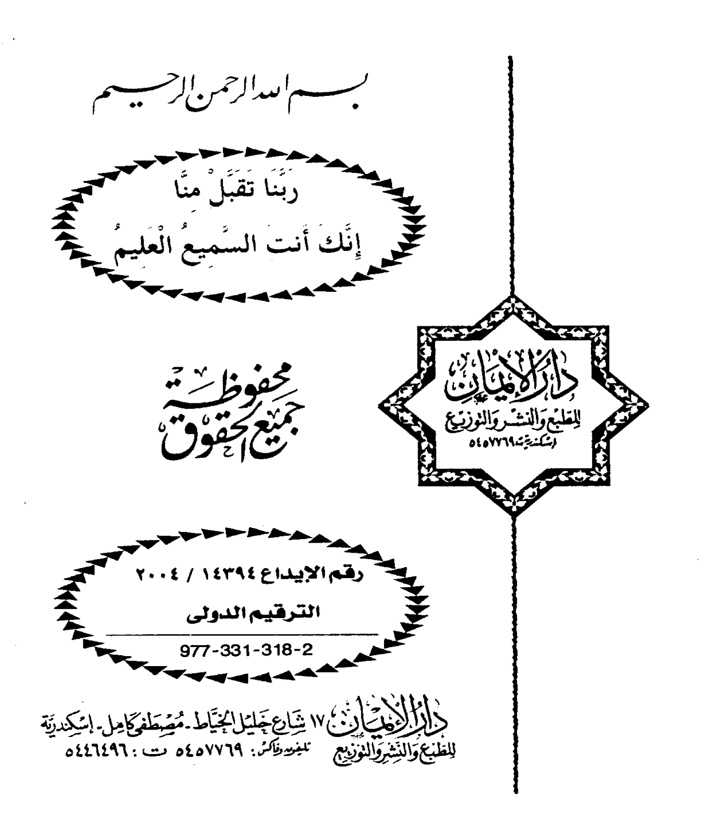
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



مُنتقى الفوائد

العلم - العقيدة - الرقائق - الدعوة إلى السنة

الأدب وآداب العلماء - الفتاوى



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ١٤٣٩٤ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-318-2

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعدُ، فمن فضل اللَّه عليَّ أن حبَّب إليَّ الكتاب، فانقطعت إلىٰ المطالعة والاهتمام بالقراءة، فكنتُ إذا استحسنتُ الكتابَ واستَجْدَدْتُهُ، رجوتُ منه الفائدة، فإذا ظَفِرتُ بها فكأني ظفرتُ بكنزٍ ثمينٍ، فأشعر بلذَّةٍ وأريحةٍ، فأُدوِّنها في دفتري حتىٰ اجتمع لي من هذا كثير، فانتقيتُ منها ما وقع عليه اختياري في كتابي هذا، وسمَّيْتُهُ: «**مُنْتَقَى الفوائد**»

عسى أن ينتفع به إخواني عُشّاق الزَّبَرْجَدِ والمَرْجَان، والدُّرِّ والعِقْيان، والإكليل والتيجان، والجواهر الحسان، بحيثُ يأخذوا منه الثمار، ويُلقوا الحطب في النار، فليس لي في جمعه من الافتخار أكثر من الاختيار.

وَرَصَّعْتُ فيه الدُّرَّ حتَّى تَرَكْتُهُ
يُضيءُ بلا شمس، ويَسْرِي بلا قَمَرِ
فعيناهُ سِحرٌ، والجبينُ مُهَنَّدٌ
ولِلَّهِ دَرُّ الرِّمْشِ والجيدِ والحَوَرِ!

والقلب مفتوح ـ بإذن اللَّه ـ لقَبُول نصيحةٍ، أو فائدةٍ، أو توجيه نقدٍ بنَّاءٍ.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين

محبُّكم في الله

فيصل بن عبده قائد الحاشديُّ

البابـ الأول

العِلم

الإخلاص في طلب العلم

عن ابن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قـال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ طَلَبَ العلْمَ لُيباهِيَ به العلماءَ، ويُماريَ به السُّفـهـاءَ، أو ليصـرفَ وجـوهَ النَّاسِ إليـه ـ فـهـو في النَّارِ»[1] .

العلمُ عبادةٌ

قال أبو يوسف ـ رحـمه اللَّه ـ: «العلم عبـادة من

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٣) وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٠٤) .

العبادات، وقُربة من القُرَب، فإن صحَّح فيه النيَّة، قُبِلَ وزكىٰ، ونمت بركتُهُ، وإن قصد به غير وجه اللَّه ـ تعالىٰ ـ حَبِطَ وضاع، وخسرتْ صَفْقَتُهُ، ورُبَّمَا تفوته تلك المقاصدُ ولا ينالها، فيخيب قصدُهُ، ويضيعُ سَعْيُهُ»(١).

الكلام في العلم من أفضل الأعمال

قال ابن عبد البرِّ ـ رحمه اللَّه ـ: «الكلام بالخير غنيمة، وهو أفضل من السكوت؛ لأن أرفعَ ما في السكوت السلامة، والكلام بالخير غنيمة، وقد قالوا: مَنْ تكلَّم بخيرٍ غَنِمَ، ومن سكتَ سَلِمَ، والكلام في العلم من أفضل الأعمال، وهو يجري عندهم مَجرىٰ الذِّكر والتِّلاوة، إذا أريد به نَفْيُ الجهلِ ووجهُ اللَّهِ

(١) «تذكرة السامع والمتكلِّم» (ص٦٨).

- عزَّ وجلَّ -، والوقوفُ على حقيقة المعاني»[١] .

اختيار العلم

قال ابن رسلان:

«ينبغي لطالب العلم أن يختار البدء بالذي هو في أمسِّ الحاجة إليه في عاجل أمره وآجِلِه (أعني العلمَ باللَّه - عزَّ وجلَّ -: بأسمائه وصفاته، وأفعاله) فإذا انضبط له هذا المقدار من علم باللَّه - عزَّ وجلَّ - كان عليه الأخذُ بعلمي الكتاب والسُّنَّة على نَهْجِ صَدْر الأُمَّة الأوَّل - رضي اللَّه عنهم -»[٢] .

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (ص١٨٢) .

(٢) «آداب طالب العلم» (ص١٢٧) .

التدرُّج في العلم

قال عبد العزيز قارئ:

«احرص على سُلَّم التعليم الذي اصطلح عليه العلماء؛ فالتدرُّج في سلك التعليم ضروريٌّ لكلِّ متفقِّهٍ، والعلم لا يُنال قَفْزًا، فإذا قَفَزْتَ مِنْ فوقِ الجُدْران، فزلَّت قَدَمُك، وسقطتَ على أُمِّ رأسك - فلا تلومنَّ إلا نفسك؛ لأنك بدلاً أن تأتي البيوت من أبوابها أردت أن تقفزَ من فوق الجُدْرَان»[١].

أخذ العلم عن الأكابر

قال عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه -:

«لا يزال الناس بخيرٍ ما أخذوا العلم عن أكابرهم،

---

(١) برنامجٌ علميٌّ للمتفقِّهين للشيخ عبد العزيز قارئ.

وعن أُمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا»[١] .

قال ابن قُتيبة ـ رحمه اللَّه ـ شارحًا لقول ابن مسعود: «يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخَ، ولم يكن علماؤهم الأحداثَ؛ لأن الشيخ قد زالت عنه مُتعةُ الشباب، وحِدَّتُهُ، وعَجَلَتُهُ، واصطحب التَّجْرِبة والخبرة، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوىٰ، ولا يميل به الطمعُ، ولا يستذلُّهُ الشيطانُ استذلالَ الحَدَثِ، فمع السِّنِّ الوَقَار والجلال، والهَيْبَة، والحدثُ قد تدخل عليه هذه الأمور التي أُمِنَتْ علىٰ الشيخ، فإذا دخلت عليه، وأفتىٰ؛ هلك وأهلك»[١] .

---

(١) الضرورة إلىٰ العلم الشرعيِّ لصالح السَّدْلان (ص١٣٣ ـ ١٣٤).

للعلم ثلاثة أصول

قال ابن عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ:

«العلم ثلاثةٌ: كتاب ناطق، وسنَّة ماضية، ولا أدري»(١) .

فضل العلم

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«ولو لم يكن في العلم إلا القُرْب من ربِّ العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة، وصُحبة الملإ الأعلى ـ لكفى به شرفًا وفضلاً، فكيف وعِزُّ الدنيا والآخرة منوطٌ به، مشروطٌ بحصولِهِ؟!»(٢) .

(١) «عيون الأخبار» (٥/ ١٣٠).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٠٨).

طالب العلم في منزله

قال ابن الحاج ـ رحمه اللَّه ـ:

«وينبغي لطالب العلم أن يتفقَّد أهله فيما يحتاجون إليه؛ لأنه جاء لتعليم غيرهم طلبًا لثواب إرشادهم، فخاصَّتُه ومَنْ تحت نظره آكد؛ لأنهم رعيَّتُهُ، ومن الخاصَّة به، كما سبق الحديث: «**كُلُّكم** راعٍ...».

فيعطيهم نصيبهم، فيبادر بتعليمهم آكد الأشياء في الدين أولاً، وأنفعها وأعظمها، فيعلِّمهم الإيمان والإسلام، ويُجَدِّد عليهم علمَ ذلك، وإن كانوا قد علموه، ويُعلِّمهم الإحسان، ويُعلِّمهم الوضوء، والاغتسال، وصفتهما، والتيمُّم، والصلاة، وما في ذلك كلِّه من الفرائض، والسُّنن والفضائل، وكلّ ما

يحتاجون إليه من أمر دينهم، الأهم فالأهمّ»[١] .

اختيار الشيخ

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«فينبغي أن يختار الأعلمَ، والأوْرَعَ، والأَسَنَّ، كما اختار أبو حنيفة ـ رحمه اللَّه ـ حمَّاد بن سليمان ـ رحمه اللهُ ـ بعد التأمُّل والتفكُّر .

وقال: وجدتُهُ شيخًا وقورًا، حليمًا صبورًا.

وقال: ثبتُّ عند حماد بن سليمان فَنَبَتُّ»[٢] .

(١) «المدخل» لابن الحاج (١/ ٢٠٩).
(٢) «تعليم المتعلِّم» (ص١٢).

التبكير في طلب العلم

عن عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل ـ رحمهم اللَّه ـ قال:

سمعتُ أبي يقول: «كنتُ ربَّما أردتُ البكور إلىٰ الحديث، فتأخذ أُمِّي ثيابي وتقول: حتَّىٰ يؤذِّنَ النَّاس، حتَّىٰ يصبحوا، وكنتُ ربَّما بكَّرتُ إلىٰ مجلس أبي بكر ابن عيَّاشٍ وغيره»[١].

آداب الدُّخول على الشيخ

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«ينبغي أن يدخل علىٰ الشيخ كاملَ الهيئة، متطهِّرَ البدن والثياب، نظيفهما، بعدما يحتاج إليه من أخذ

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع» (١/ ١٥١).

ظُفْرٍ، وشعرٍ، وقطعِ رائحةٍ كريهةٍ، لاسيما إن كان يقصد مجلسَ العلم، فإنه مجلسُ ذكرٍ واجتماعٍ في عبادةٍ»[١].

الحياء المذموم

قال ابن رسلان:

«وإذا قال له الشيخ: هل فهمت؟ فلم يقل: نعم، إلا وهو فاهمٌ، ولا يَسْتَحيي من قوله: لا أدري، أو لا أفهم.

قال مجاهد: «لا يتعلَّمُ العلمَ مُسْتحْيٍ ولا مستكبرٌ».

وقالت عائشة - رضي اللَّه عنها -: «نِعْمَ النساءُ نساءُ الأنصار، لم يمنعهنَّ الحياءُ أن يتفقَّهْنَ في الدين»[٢].

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلِّم» (ص٩٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٢٧٦).

وقال الخليل:

«منزلة الجهل بين الحياءِ والأَنَفَةِ»[١]»[٢].

العلم ثلاثة أشبار

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«العلم ثلاثةُ أشبارٍ:

ـ مَنْ دَخَلَ الشِّبْرَ الأوَّلَ تكبَّر.

ـ ومن دخل الشِّبْرَ الثاني تواضع.

ـ ومن دخل الشِّبْرَ الثالث علمَ أنَّهُ لا يعلم»[٣].

---

(١) «آداب المتعلِّم والعالم» (ص٥٩).

(٢) «آداب طالب العلم» (ص١٨١).

(٣) «تذكرة السامع والمتكلِّم» (ص٦٥).

مراتب العلم

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«للعلم ستُّ مراتب:

أوَّلها: حُسْنُ السؤال.

والثانية: حسن الإنصات.

والثالثة: حسن الفَهْمِ.

والرابعة: الحفظ.

والخامسة: التعليم.

والسادسة ـ وهي ثمرته ـ: العملُ به ومراعاةُ حدوده»[1].

---

(١) «مفتاح دار السعادة».

جنة العالم

قال الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه اللَّه ـ:

«جنَّة العالم: لا أدري، ويَهْتِكُ حجابها الاستنكافُ منها، وقولُهُ: يُقال، أو سمعتُ، أو ما شابههما، وإن كان نصفُ العلم لا أدري، فنصفُ الجهلِ: يُقال، أو أظنُّ، فانتبِه لهذا، وفَّقك اللَّه!»[1].

أعلى الهمم في طلب العلم علمُ الكتاب والسنة

قال ابن القيم ـ يرحمه اللَّه ـ:

«أعلى الهمم في طلب العلم: علم الكتاب والسنة، والفهم عن اللَّه ورسوله نفس المراد، وعلم حدود المنزل.

---

(١) حلية طالب العلم.

وأخس العلم: قصر همَّتهم على تتبُّع شواذ المسائل، وما لم ينزل، ولا هو واقع، أو كانت همَّتُهُم معرفة الاختلاف، وتتبُّع أقوال الناس، وليس لهم همَّة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال، وقلَّ أن ينتفعَ واحدٌ من هؤلاء بعلمه»(١) .

الرحلة للطلب

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«مَنْ لم يكن رُحْلةً، لم يكن رُحَلَةً»(٢) .

---

(١) «الفوائد» (ص٦١) .

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» .

ما يُميِّز طالبَ العلم

قال الخطيب البغداديُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«ينبغي لطالب العلم أن يتميَّز في عامَّة أموره عن طرائق العوامِّ باستعمال آثار رسول اللَّه ﷺ، ما أمكنه، وتوظيف السنة على نفسه؛ فإن اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]»(١).

العلمُ بالدِّراية لا بكثرة الرواية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«وقد أوعبتُ في كلِّ فنٍّ من فُنون العلم إيعابًا، مَن نوَّر اللَّهُ قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم

(١) «الجامع للخطيب» (ص١٤٢).

تزدْهُ كثرةُ الكتب إلا حيرةً وخبالاً»[١] .

وقال الذهبي عند ترجمته لعثمان الدارميِّ - رحمهم اللَّه -:

«إنَّ العلم ليس بكثرة الرِّواية، ولكنَّه نور يقذفه اللَّه في القلب، وشرطه: الاتباع، والفرار من الهوىٰ والابتداع»[٢] .

قال الإمام ابن رجب - رحمه اللَّه -:

«وقد فُتِنَ كَثيرٌ من المتأخرين بهذا، وظنُّوا أن من كَثُر كلامه وجدالُهُ وخصامُهُ في مسائل الدين فهو أعلم ممَّن ليس كذلك، وهذا جَهْلٌ مَحْضٌ، وانظر إلىٰ أكابر الصحابة وعلمائهم: كأبي بكرٍ، وعُمَرَ، وعليٍّ ومُعاذٍ وابن مسعودٍ، ويزيد بن ثابتٍ كيف كانوا؟!

(١) «مجموعة الرسائل الكبرىٰ» (١/ ٢٣٩).
(٢) «السير» (١٣/ ٣٢٣).

كلامهم أقل من كلام ابن عبَّاسٍ، وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.

فليس العلم بكثرة الرِّواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يُقذف في القلب، يفهم به العبدُ الحقَّ، ويُميِّز به بينه وبين الباطل، ويُعبِّر عن ذلك بعباراتٍ وجيزةٍ محصِّلةٍ للمقاصد»(١).

تعاهد القرآن

عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**إذا قام صاحبُ القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكرَهُ،**

(١) «بيان فضل علم السلف على علم الخلف» لابن رجب الحَنْبليِّ (ص٥٧ - ٥٨).

وإن لم يَقُمْ به نَسِيَهُ»(١) .

تكرار قراءة القرآن يفتح آفاقًا من المعرفة

ذكر عبَّاس بن عبد الدائم المِعْريُّ الكنانيُّ ـ رحمه اللَّه ـ عن شيخ ضرير أنه أوصاهم فقال :

«أكثرْ من قراءة القرآن ولا تتركْهُ ؛ فإنه يتيسَّرُ لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ» .

قال : «فرأيت ذلك وجرَّبْتُهُ كثيرًا ، فكنتُ إذا قرأتُ كثيرًا تيسَّر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير ، وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي»(٢) .

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٧٦) .

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٩٨) .

الحفظ قليلاً قليلاً أثبت

قال أبو بكر بن عياش ـ رحمه اللَّه ـ:

«قرأت القرآن على عاصم بن أبي النجود، فكان يأمُرُني أن أقرأ عليه كل يوم آيةً لا أزيدُ عليه، ويقول: إنَّ هذا أثبتُ لك. فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن أَفْرُغَ من القرآن؛ فما زلت أطلبُ إليه حتَّى أذن لي في خمس آيات كلَّ يوم»[١].

السَّهَرُ في طلب العلم

قال فُضَيْلُ بن غزوان:

«كنَّا نجلس أنا، وابن شُبْرُمَة، والحارث بن يزيد، والعلكي، والمُغيرة، والقَعْقَاعُ بن يزيدَ ـ بالليل نتذاكر

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٤٢).

الفقه، فربَّما لم نقم حتَّى نسمع النداءَ للفَجْرِ»(١) .

بعضُ فوائدِ العِلم

قال الشيخ ابن سمحان ـ رحمه اللَّه ـ:

تعلَّم فـفي العلمِ الشـريفِ فـوائد
يَحِنُّ لَـهَـا القلـبُ السليـمُ المُوَفَّقُ
فـمنهنَّ: رِضْـوانُ الإلهِ وجنَّةٌ
وفـوزٌ وعـزٌّ دائمٌ مُـتَـحَـقِّقُ
وَعَنْ زُمْرَةِ الجُهَّالِ ـ إنْ كنتَ صَادقًا
بعِلْمكَ ـ تنجو ـ يا أخي ـ وتسمقُ
فكن طالبًا للعلمِ إن كنتَ حازمًا
وإيَّاك أن رمت الهُـدَى تتـفـوَّقُ

(١) «السير» (٦/ ٣٤٨-٣٤٩).

ففي العلْمِ ما تَهْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَطْلَبٍ
وطالبُهُ بالنُّور والحقِّ يَشْرُقُ
وإنْ رُمْتَ مالاً كَانَ فِي العلم كَسْبُهُ
فَفُزْ بالرِّضا، واخْتَرْ لما هو أَوْفَقُ
وأَحْسَنُ في الدَّارَيْنِ عُقْبَى ورِفْعَةً
فبادرْ، فإنِّي صادقٌ ومُصَدَّقُ
وَفِي الجَهْلِ قَبْلَ الموت مَوتٌ لأهله
ويومُ اللِّقا نارٌ تَلَظَّى وتحرقُ[1]

حاجة الناس إلى العلم

قال الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ:

«الناس أحوج إلىٰ العلم منهم إلىٰ الطعام والشراب؛

---

(١) «شرح الثلاثة الأصول لعبد الله اليحيا» (ص١٢).

لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرَّتين أو ثلاثًا، والعلم يحتاج إليه في كل وقت»[١] .

العلم يُورثُ صاحبَهُ سرعةَ البديهةِ، وقوَّةَ الحجَّةِ

أرسل أحد الأمراء المسلمين رسولاً إلى الرُّوم، ليناظرهم، فذهب الرسول إلى ملك الرُّوم، وجرتْ له أمور :

فمنها أنَّ الملك أدخله عليه من باب خَوْخه، ليدخل َراكعًا للملك، ففطن لها، ودخل بظهره!

ومنها أنه قال لراهبهم : كيف الأهل والأولاد؟

فقال له الملك : أما علمت أن الراهب يتنزَّه عن هذا؟!

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ٥٦) .

فقال: تُنَزِّهُونه عن هذا، ولا تُنزِّهون اللَّه عن الصُّحبة والولد!

وقيل: إن طاغية الروم سأله: كيف جرى لعائشة ـ وقصد توبيخه ـ؟!

فقال: كما جرى لمريم، فبرَّأ اللَّه المرأتين، ولم تأتِ عائشة بولدٍ.

فأفحمه فلم يَدْرِ جوابًا(١).

في توقُّف طالب العلم عمَّا لا يعلم فوائد كثيرة

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعديٍّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«ومن أعظم ما يجب على المعلِّمين أن يقولوا لما لا يعلمونه: اللَّه أعلم، وليس هذا بناقصٍ لأقدارهم، بل هذا ممَّا يزيد قدرهم، ويستدلُّ به على كمال دينهم،

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبيِّ وفيات (٤٠١ ـ ٤٠٢) (ص٨٩).

وتحرِّيهم للصواب، وفي توقُّفه عمَّا لا يعلم فوائد كثيرة:

منها: أنَّ هذا هو الواجب عليه.

ومنها: أنَّه إذا توقف وقال: اللَّه أعلم، فما أسرع ما يأتيه علم ذلك من مراجعته، أو مراجعة غيره؛ فإنَّ المتعلِّم إذا رأىٰ مُعلِّمه قد توقَّف، جدَّ واجتهد في تحصيل علمها، وإتحاف المعلِّم بها، فما أحسن هذا الأثر!

ومنها: إذا توقف عمَّا لا يعرف، كان دليلاً علىٰ ثقته وأمانته وإتقانه فيما يجزمُ به من المسائل، كما أن مَن عرف منه الإقدام علىٰ الكلام فيما لا يعلم؛ كان ذلك داعيًا للرِّيَبِ في كلِّ ما يتكلَّم به، حتَّىٰ في الأمور الواضحة.

ومنهـا: أنَّ المعلِّم إذا رأىٰ منه المتعلِّمون التوقف فيما لا يعلم، كان ذلك تعليمًا لهم وإرشادًا لهذه الطريقة الحسنة، والاقتداء بالأقوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال»[1] .

الحفظ يأتي بالممارسة

قال الإمام أبو هلال العسكري ـ رحمه اللَّه ـ عن نفسه:

«كان الحفظ يتعذَّر عليَّ حين ابتدأت أرُومُه، ثم عوَّدت نفسي، إلىٰ أن حفظت قصيدة رُؤْبة: (وقاتم الأعْماقِ خاوِي المُخْتَرَقْن) في ليلةٍ، وهي قريب من مائتي بيتٍ»[2] .

---

(١) الفتاوىٰ السَّعْديَّة (ص٦٢٨ ـ ٦٢٩).

(٢) الحثُّ علىٰ طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلالٍ العسكريِّ (ص٧١).

أجودُ مكانٍ للحفظ

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«وأجود أماكن الحفظ الغُرَفُ، وكلُّ موضعٍ بعيدٍ عن المُلْهيات، وليس بمحمودٍ الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار، وقَوارع الطُّرق، وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خُلُوِّ القلب غالبًا»[١] .

تنظيم أوقات العلم

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«أجودُ الأوقات للحفظ: الأسحارُ، وللبحثِ: الأبكارُ، وللكتابة: النهارُ، وللمطالعة والمذاكرة: الليل»[٢] .

(١) «تذكرة السامع والمتكلّم» (ص٧٢).

(٢) المرجع السابق (ص٧٢).

بركة السَّحَر

قال إسماعيل بن أبي أُوَيس ـ رحمه اللَّه ـ:

«إذا هَمَمْتَ أن تحفظَ شيئًا فنمْ، ثُمَّ قُمْ عند السَّحَر، فأسرجْ وانظرْ فيه، فإنك لا تنساه بَعدُ إن شاء اللَّه»(١) .

وقال بعضهم: «إذا كان وَجْهُ السَّحَر، فاقْرَعْ عليَّ بابي، تعرفْ موضعَ رأيي»(٢) .

المقصود من أصول الفقه

قال شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ:

«المقصود من أصول الفقه أن يفقه مُراد اللَّه

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٣٢١) .

(٢) «أساس البلاغة» للزمخشريّ (ص٥٠٢) .

ورسوله بالكتاب والسنة»[١] .

العلم حياة القلوب

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«قال بعضُ العارفين: أليس المريض إذا مُنِعَ الطعام، والشراب والدواءَ يموت؟ قالوا: بلىٰ. قال: فكذلك القلب إذا مُنع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيامٍ يموتُ».

وصدق؛ فإن العلمَ طعامُ القلب وهو ميت، ولكن لا يشعرُ بموته، كما أن السكران الذي قد زال عقله والخائف الذي قد انتهىٰ خوفُه إلىٰ غايته، والمحبَّ المفكِّر ـ قد بطل إحساسُهُم بألم الجراحات في تلك الحال، فإذا صَحَوْا وعادوا إلىٰ حالِ الاعتدال

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٠/ ٤٩٧).

أدركوا آلامَها(١) .

نصيحة من الشافعي لطالب العلم

قال الشافعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«لا يطلب هذا العلم بالملك وعِزَّة النفس فيفلح، لكن مَنْ طلبه بذلَّة النفس، وضيقِ العيشِ، وخدمةِ العلمِ، وتواضعِ النفسِ ـ أَفْلَحَ»(٢) .

أهميَّة الكتابِ

قال أحدُ الحُكماء:

«لو خُيِّرْتُ في أنْ أكونَ أكبرَ مَلِكٍ في الأرضِ، ولي جميل القصور، والبساتين، والمشارب، وثمين

(١) «من درر ابن القيمِّ» إعداد الحلبيّ (ص١٤٥) .
(٢) «الآداب الشَّرعية» لابن مُفْلح (٢/ ٢٧)

العجلات، وفاخر الثياب، ومئات الخدم، واشْتُرِطَ في ذلك ألا يكون عندي كتاب ـ لرفضتُ ذلك الملك بغير مطالعةٍ، وقبلتُ أن أكون فقيراً في كوخٍ، ومعي كثير من الكتب»[1] .

الكتاب خير جليس

عُوتب بعض الأدباء على لزومه منزلَهُ، وتركه محادثةَ الرِّجال، فأجاب بجواب مَدَحَ فيه كُتُبَهُ، فقال:

لنا جُلَساء ما نَمَلُّ حديثَهُم
أَلِبَّاء مأمُونون غَيْبًا ومَشْهَدا
يُفيدوننا مِنْ رَأيِهِم عِلْمَ مَنْ مَضَى
وعقلاً، وتأديبًا، ورأيًا مُسَدَّدا

(١) «جوامع الآداب» للقاسميِّ (ص١٢٢) .

بلا مؤنةٍ تخشى، ولا سُوءِ عِشْرَةٍ
ولا تتَّقي منهم لسانًا ولا يدا
فإن قُلتُ: هم مَوتَى فلستُ بكاذبٍ
وإن قلتُ: أحياءٌ فلستُ مُفَنَّدَا
يُفكِّرُ قلبي دائبًا في حديثهم
كأنَّ فؤادي ضَافَهُ(١) سُمٌّ أسودا(٢)

احذر القراءة العشوائية للكتب

قال ابن جماعة:

«وكذلك يحذر في ابتداء طلبه من النظر في تفاريق المصنفات؛ فإنه يضيع زمانه، ويُفرِّق ذِهْنَهُ، بل

(١) ضافه: نزل عليه ضَيْفًا.
(٢) «تقييد العلم» (ص١٤٣).

يُعطي الكتاب الذي يقرؤه - أو الفنَّ الذي يأخذه - كُلِّيَّتَهُ، حتَّىٰ يُتْقِنَهُ»[1] .

قلت: لله ما أعظم كلام السلف، فإنه قليلُ الجُمَلِ جَمٌّ الفائدة، فإن هذا مُجرَّب مشاهد، فالقراءة المبعثرة بلا ضابطٍ لا تُخرج عالمًا مستفيدًا، بل لا تُخرج إلا مثقَّفًا[2] .

ومتىٰ أَعطَىٰ طالب العلم الفنَّ الذي يأخذه كُلِّيَّتَهُ حتَّىٰ يُتقنه - وهكذا في كلِّ فَنٍّ - صار عالمًا، ما من ذلك بُدٌّ .

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلِّم» .

(٢) الفرق بين العالم والمُثَقَّف هو :
أنَّ العالم هو : الذي يعرف كُلَّ شيءٍ عن شيءٍ مُعَيَّنٍ .
وأمَّا المُثَقَّف بالعكس : فهو الذي يعرف شيئًا عن كُلِّ شيءٍ .

إعارة الكتب

قال خميس الجوزيُّ ـ رحمه الله ـ:

كـتـبي لأهل العلمِ مَبْذُولةٌ
أيديهم مِثْلُ يدي فيها
متى أرادوها بلا منَّة
عارِيةً فَلْيَسْتَعيروها
حاشايَ أن أكتمها عَنْهُمُو
بُخْلاً كما غيري يُخفيها
أعارنا أشياخُنا كُتْبَهُم
وسُنَّة الأشياخ نُحْيِيها[1]

(٦) «الذيل في طبقات الحنابلة» (١/ ٤٣٦).

احرصْ على اختيار أحسن الكتبِ

قال الخطيب البغدادي - رحمه اللَّه -:

«ينبغي لمتحفِّظ ما يقرأه أن يصرفَ عنايته إلى إتقان ما يُسألُ عنه، إن كان ممَّن ينتصب للسؤال».

ثم ساق بسنده إلى ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - أنه قال:

«العلم كثير، ولن تَعِيَهُ قُلوبكم، ولكن ابتغوا أحسنهُ، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]»(١).

(١) «تقيد العلم» (ص ١٤١).

احرص على شراء الكتب المحققة ذات الطبعة الجيدة

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ:

«من الأمور التي يُشْغَفُ بها المحدِّث تحصيل النسخ المليحة»(١) .

احذر الكتب الزائفة

قال ابن سيرين ـ رحمه الله ـ:

«إنَّ هذا العلم دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»(٢) .

---

(١) «تذكرة الحُفَّاظ» (١/ ٢٠٥).

(٢) كتب حذَّر منها العلماء لمشهور بن حسن ، وننصح باقتنائه للاستفادة منه، فهو بحقٍّ قاموس في معرفة الكتب الزائفة للحذر والتحذير منها.

احرص على إتلاف وإحراق الكتب الزائفة

من اللطائف ما جاء في وفاة الصنعانيِّ المتوفَّىٰ (١١٢٢) قالوا: أصيب - رحمه اللَّه - بالإسهال، فطلب له أهلُهُ العلاج، إلا أنَّه لم يُفده شيئًا، فجيء بكتابين:

الأوَّل: الإنسان الكامل للجيليِّ.

والثاني: المضنون به على أهله للغزاليِّ. وقد قال عنه الصنعاني: «ولا أظنه من مؤلفاته، وإنما هو مكذوب عليه».

وقال: «ثم طالعت الكتابين، فوجدت فيهما كفراً صريحًا؛ فأمرت بإحراقهما، وأن يطبخ على نارهما خبزٌ لي» فأكل رحمه اللَّه - ذلك الخبز بنيَّة الشفاء، فما شكا بعد ذلك الأكل مرضًا[1].

---

(١) انظر السابق.

احرص على تقييد الفوائد

قال الخليل بن أحمد ـ رحمه اللَّه ـ:

«ما سمعت شيئًا إلا كتبته، ولا كتبتُ شيئًا إلا حفظته، ولا حفظتُ شيئًا إلا انتفعت به»[1].

وأنشد أبو سعدٍ داود بن الهيثم لنفسه، وكتبها بخطه على ظهر دفترٍ، جمع فيه أخبارًا وأشعارًا:

نُتَفٌ مِنْ طرائف الأخبارِ
وَشُذُور المُقطَّعاتِ القِصارِ
نُزْهَةٌ للقلوبِ فيها رياضٌ
زينتها بدائعُ الأشعارِ[2]

(١) تقيد العلم (ص١١٤ ـ ١١٥).
(٢) المرجع السابق (ص١٣٤).

المقصود بالتأليف

قال المقري ـ رحمه اللَّه ـ:

المقصود بالتأليف سبعة :

١ ـ شيء لم يُسبق إليه فيُؤَلَّف .

٢ ـ أو شيء أُلِّفَ ناقصًا فيكمَّل .

٣ ـ أو خطأ فَيُصَحَّح . ٤ ـ أو مُشْكَل فَيُشْرَح .

٥ ـ أو مُطَوَّل فيُختصر . ٦ ـ أو مُفَرَّق فيُجْمَع .

٧ ـ أو مَنْثُورٌ فَيُرتَّب .

وقد نظمها بعضهم فقال:

ألا فـاعْلَمَن أنَّ التـآليفَ سـبـعـةٌ

لِكُلِّ لبـيبٍ في النصيـحةِ خـالصِ

فَشَرْحٌ لإغلاقٍ، وتصحيحُ مُخْطِئٍ
وإبداعُ حبْرٍ مُقْدِمٍ غيرِ ناكِصِ
وترتيبُ منثورٍ، وجمعُ مُفَرَّقٍ
وتقصيرُ تطويلٍ، وتتميمُ ناقصِ[١]

ينبغي الاستكثار من الكتب

قال بعض أهل العلم:

«ينبغي للمرء أن يدَّخر أنواع العلوم، وإن لم تكن له بمعلوم، وأن يستكثر منها، ولا يعتقد الغِنىٰ عنها؛ فإنه إن استغنىٰ عنها في حالٍ، احتاج إليها في حالٍ، وإن سَئِمها في وقت، ارتاح إليها في وقتٍ، وإن شُغِلَ عنها في يومٍ، فرغَ لها في يومٍ، وألا يُسرعَ ولا يَعْجَلَ؛

(١) «أزهار الرِّياض» للمقري (٣/ ٣٤ـ٣٥).

فيندم ويَوْجَل، فربَّما عَجلَ المرء على نفسه بإخراج كتابٍ عن يده، ثم رامه فتعذَّر عليه مَرَامُهُ، وابتغى إليه وصولاً، فلم يجد إليه سبيلاً، فأتعبه ذلك وأنصبه، وأقلقه طويلاً، وأرَّقه .

كالذي حُكِيَ عن بعض العلماء قال: بعتُ في بعض الأيام كتابًا، ظننت أني لا أحتاج إليه، فلمَّا كان ذات يوم، هجس في صدري شيءٌ، كان في ذلك الكتاب، فطلبته في جميع كتبي فلم أجده، فاعتمدت أن أسأل عنه عالمًا عند الصباح، فما زلت قائمًا على رجلي إلى الصباح، قيل: فهلاَّ قعدت، قال: لطول أرقي وشدة قلقي»[1] .

* * *

(١) «تقييد العلم» للخطيب البغدادي (ص١٣٦).

الباب الثاني
العقيدة

أركان الكفر

أركان الكفر أربعة:

الكِبرُ، والحَسَدُ، والغضبُ، والشَّهْوَةُ.

فالكبر يمنعه الانقياد.

والحسد يمنعه قبول النصيحة وبذلها.

والغضب يمنعه العدل.

والشهوة تمنعه التفرغ للعبادة(١).

---

(١) «الفوائد» (ص٢٨٨) بتحقيق الحلبيِّ.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها!!

قال الإمام إسماعيل المقري، من علماء الشافعية في قصيدة له وعظية بليغة، فقال وأجاد:

تقول مع العصيان ربِّي غافرٌ
صدَقْتَ، ولكن غافرٌ بالمشيئةِ
وربُّك رزَّاقٌ كما هو غافرٌ
فلِمَ لم تُصدِّق فيهما بالسَّويَّة؟!
فإنَّك ترجو العفوَ من غيرِ توبة
ولست براجي الرِّزقِ إلا بحيلةِ
على أنَّه بالرِّزق كَفلَ نفسهُ
لكلٍّ، ولم يَكْفُلْ لكُلٍّ بجنَّة»[1]

(١) «إيثار الحقِّ على الخَلْق» لابن الوزير (ص٢٥٨).

الإيمانُ يزيدُ وينقصُ

قال عُميرُ بن حبيب بن حماشة ـ رحمه اللَّه ـ:

«الإيمان يزيد وينقص»، فقيل له: «فما زيادته، وما نقصانه؟».

قال: إذا ذكرنا ربَّنا وخشيناه، فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيَّعنا، فذلك نُقصانه»(١).

وقال البخاري ـ رحمه اللَّه ـ:

«لقيتُ أكثرَ من ألفٍ من العلماءِ بالأمصارِ، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قولٌ وعملٌ، ويزيدُ وينقصُ»(٢).

---

(١) «الإيمان» لابن أبي شيبة (ص٧).
(٢) «فتح الباري» (١/ ٦١).

التحذير من الثوار وأصحاب المظاهرات

قال ابن خَلْدون ـ رحمه اللَّه ـ:

«ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامَّة والفقهاء، فإن كثيراً من المُنتحلين للعبادة وسلوك الدين يذهبون إلىٰ القيام علىٰ أهل الجَوْرِ من الأُمَراء، داعين إلىٰ تغيير المنكر، والنهي عنه، والأمر بالمعروف رجاءً في الثواب عليه من اللَّه، فيكثر اتباعُهم والمتشبِّهون بهم من الغَوْغاءِ والدُّهماء، ويُعَرِّضون أنفسهم في ذلك للمهالك، وأكثرهم يهلكون في تلك السُّبل مأزورين غير مأجورين؛ لأن اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لم يكتب لهم ذلك»[١] .

---

(١) مقدِّمة ابن خلدون (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

مَنْ طلب الإمارة وُكِلَ فيها إلى نفسِه

أوصى رسول اللَّه ﷺ عبد الرحمن بن سَمُرَة، فقال: «**يا عبد الرحمن، لا تسألِ الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكِلْتَ إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة، أُعِنْتَ عليها**»(١).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ:

«فمن لم يكن له من اللَّه إعانة، تورَّط فيما دخل فيه، وخسر دُنياه وعُقباه، ومَن كان ذا عقلٍ، لم يتعرَّض للطلب أصلاً»(٢).

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٦٢٢) ومسلم (١٦٥٢)، ولفظ رواية أبي داود: «وُكِلَ فيها إلى نفسه».
(٢) «الفتح» (١٣/ ١٣٣).

الفتنة إذا وقعت عجز العقلاء عن دفع السفهاء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السُّفهاء، وهذا شأن الفتن، كما قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ واتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوُّث بها إلا مَنْ عصمه اللهُ»[١].

فتنة الخطباء

قال خبيرُ الفتن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -:

«إن الفتنة وكلِت بثلاثٍ:

بالحادِّ النِّحرير الذي لا يرتفع له شيءٌ إلا قمعه،

(١) «منهج السُّنة» (٤/ ٣٤٣).

وبالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيد، فأمَّا هذان فتبطحهما لوجوههما، وأما السيد فتبحثه حتَّىٰ تبلوَ ما عنده»(١) .

فتنة الدهماء

قال الإمام الماورديُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«مع أنَّ لكُلِّ جديدٍ لذَّةً، ولكُلِّ مُسْتحدثٍ صَبْوَةً، وقال النبي ﷺ: «**إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أُمَّتي مُنافقٌ عليمُ اللِّسَانِ**»(٢) .

---

(١) رواه أبو نعيم بن حمَّاد في «الفتن» (٣٥٢)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٧-١٨)، وأحمد في «الزُهد» (٢/ ١٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٤) واللفظ له، وأبو عمر والدارانيُّ في «السنن الواردات في الفتن» (٢٨) .

(٢) رواه أحمد، وهو صحيح .

فتصير البدع فاشيةً، ومذاهب الحق واهيةً، ثم يُفضي الأمر إلىٰ التحزُّب والعصبية، فإذا رأوا كثرة جمعهم وقوّة شوكتهم، داخلهم عزُّ القوَّة ونَخْوَةُ الكثرة، فتضافر جهَّالُ نسالهم، وفَسَقَة علمائهم بالميل علىٰ مخالفيهم، فإذا استتبَّ لهم ذلك، زاحموا السلطان في رئاسته، وقيَّموا عند العامَّة جميل سيرته، فربما انفتق ما لا يرتق، فإنَّ كبار الأمور تبدو صغارًا»[1].

عاقبة الخروج على السلطان

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت علىٰ ذي سلطانٍ، إلا وكان في خروجها من الفساد وما هو

(١) «درر السلوك في سياسة الملوك» (ص١٢٠ - ١٢١).

أعظم من الفساد الذي أزالتْهُ»[١] .

مَنْ نزع إلى السلاح وُكِلَ إليه

قال عمر بن يزيد: سمعتُ الحسن - أي: البصري - أيَّام يزيدَ بنِ المُهَلَّب قال: وأتاه رَهْطٌ، فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويُغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال: «واللَّه لو أنَّ الناس إذا ابتُلوا من قِبَلِ السلطان صبروا، ما لبثوا أن يرفع اللَّه ذلك عنهم، يفزعون إلى السيف فيوكلوا إليه، وواللَّه ما جاءوا بيوم خير قط!».

ثم تلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧] .

---

(١) «منهج السنة النبوية» لابن تيميَّة (٣/ ٣٩٠) .

أوضح الطريق إلى الله

قال الإمام أبو عليٍّ الحسن بن عليٍّ الجوزجانيُّ - رحمه اللَّه -:

«الطريق إلى اللَّه كثيرة، وأوضح الطريق، وأبعدها عن الشُّبَه: اتباعُ السُّنَّةِ قولاً وفعلاً، وعزْمًا وعَقْدًا ونيّة؛ لأنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿ وإنْ تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور: ٥٤].

فقيل له: وكيف الطريق إلى السنة؟

فقال: مُجانبة البدع، واتباع ما أجمع عليه الصَّدْرُ الأوَّل من علماء الإسلام، ولزوم طريقة الاقتداء»[١].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للسيوطي (ص٥ - ٦) تحقيق عاشور.

العبادة توقيفيَّة

قال الإمام المعصوميُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«فطرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بيَّنَهُ الذي خلقَ الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص فقد خالف الحكيم الخلاق، العليم بتركيبة الأدوية من عند نفسه.

فربما صار دواؤه داءً، وعبادته معصيةً، وهو لا يشعر؛ لأن الدين قد كمل تمام الكمال، فمن زاد شيئًا فيه، فقد ظنَّ الدين ناقصًا، وهو يكمله باستحسان عقلِهِ الفاسدِ، وخيالِهِ الكاسدِ»(١).

---

(١) «مفتاح الجنَّة» ـ لا إله إلا الله ـ للمعصوميِّ (ص٥٨).

أصول السنة التمسك بما كان عليه السلف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن شعار أهل البدع هو ترك اتباع السلف؛ ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة «عبدرس بن مالك»:

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»[1].

تعريف السلف الصالح

قال الإمام القلشاني: «السَّلف الصالح: هم الصَّدر الأول، الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبي ﷺ، الحافظون لسنته، اختارهم اللَّه ـ تعالى ـ لصُحبة نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمَّة

(١) «الفتاوى» (٤/ ١٤٤ ـ ١٦٤).

الأمَّة، وجاهدوا في سبيل اللَّه حقّ جهاده، وأفرغوا في نصح الأمة ونفعهم، وبذلوا في مرضاة اللَّه أنفسهم، قد أثنى اللَّه عليهم في كتابه»(١).

تهديد مخالف الرسول ﷺ بالزيغ والكفر

قال الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ في رواية الفضل ابن زياد:

«نظرتُ في المُصحف، فوجدتُ طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا» ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]، وجعل يكررها ويقول: «وما الفتنة؟ الشرك، لعلَّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ، فيزيغ قلبُهُ فيهلكه»، وجعل يتلو هذه

(١) «تحرير المقالة» للقلشاني (ص٣٦).

الآية : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ﴾ [النساء : ٦٥][1] .

أهل الحديث هم أهل الحق

قال الإمام أبو المظفر السمعاني ـ رحمه اللَّه ـ :

«ومما يدلُّ على أنَّ أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنَّفة من أوَّلهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم، وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كلٍّ واحدٍ منهم قُطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدةٍ ونمطٍ واحدٍ، يجرون فيه على طريقةٍ لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا

(١) «الإبانة» لابن بطة (٩٧).

تفرُّقًا في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرىٰ علىٰ ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلبٍ واحدٍ، وجرىٰ علىٰ لسان واحدٍ، وهل علىٰ الحقِّ دليلٌ أبينُ من هذا؟!

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وأمَّا إذا نظرتَ إلىٰ أهلِ الأهواءِ والبدعِ، رأيتهم متفرِّقينَ مُختَلِفينَ، أو شِيَعًا وأحزابًا، بل لا تكاد تجد اثنين منهم علىٰ طريقةٍ واحدةٍ في الاعتقاد، يُبَدِّعُ بعضُهم بعضًا، بل يرتقون إلىٰ التكفير، يكفِّر الابن أباه، والرجل أخاه، والجارُ جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغضٍ واختلافٍ، تنقضي أعمارُهم ولم تتَّفق

كلماتهم : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾[الحشر : ١٤](١) .

الكفاية المطلقة في الاتباع المطلق

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه اللَّه ـ:

«أي : حسبُك وحسبُ من اتبعك ، فكل من اتبع الرسول من جميع المؤمنين فاللَّه حسبُهُ ، وهذا معنى كون اللَّه معه ، والكفاية المطلقة مع الاتباع المطلق ، والناقصة مع الناقص ، وإن كان بعض المؤمنين به المتَّبعين له قد حصل له مَن يُعاديه على ذلك فاللَّه حسبُهُ»(٢) .

---

(١) «الحجَّة لقوام السنة» لأبي المظفر السمعاني (٢/ ٢٢٥) .

(٢) «منهج السنة» (٨/ ٤٨٧ ، ٤٨٨) .

أهل الحديث أقوى الناس حجة

قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«إن ناسًا يجادلونكم بشُبَه القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب اللَّه»[1] .

لا عيبَ على من أظهر مذهب السلف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قَبُولُ ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»[2] .

---

(١) رواه الآجريُّ في الشريعة» (ص٤٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

احذر التسمية بغير الإسلام والسنة

قال مالك بن مغول ـ رحمه اللَّه ـ:

«إذا تسمَّى الرجل بغير الإسلام والسنة، فألحِقْهُ بأي دينٍ شئتَ»[١].

الاعتصام بالسنة نجاة

قال الزُّهْرِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاةٌ»[٢].

---

(١) «الشرح والإبانة» لابن بطة (ص١٣٧).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد للالكائيِّ» (١/ ٩٤)، وأخرجه الدراميُّ في «السُّنن» (١/ ٤٥).

السنة كسفينة نوح

قال الإمام مالك ـ رحمه اللَّه ـ:

«السنة كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق»[١] .

العبادة مبناها على الاتباع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«باب العبادات والديانات والتقرُّبات عن اللَّه ورسوله، فليس لأحدٍ أن يجعل شيئًا عبادةً أو قربةً إلا بدليلٍ شرعيٍّ»[٢] .

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٥٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣١/ ٣٥).

ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ!

عن نافع، أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال: «الحمد لله والسلام على رسوله» فقال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علّمنا رسول الله ﷺ، علّمنا أن نقول: «الحمد لله على كل حال»(١).

ما أسرع هلكتكم!

مرّ عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في المسجد على قوم جالسين حِلَقًا، يكبِّرون، ويُهَلِّلون، ويسبِّحون على صفةٍ لم يفعلها رسول الله ﷺ

(١) رواه الترمذيُّ (٢٧٣٨)، والحاكم (٤/ ٢٦٥)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٢٠)، والمزيُّ في «تهذيب الكمال» (٦/ ٥٥٣)، بسندٍ جيدٍ.

وأصحابُهُ، فقال لهم - منكراً عليهم -: «عُدُّوا سيِّئاتكم، فأنا ضامنٌ ألا يضيع من حسناتكم شيءٌ! ويحكم يا أمَّة محمدٍ! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحبة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابُهُ لم تَبْلَ، وآنيتُهُ لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلىٰ ملةٍ أهدىٰ من ملةِ رسول اللَّه ﷺ، أو فافْتتحوا باب ضلالة».

قالوا: واللَّه يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير».

قال: «كم من مُريدٍ للخير لم يُصبْهُ!»[1].

يُعذبك على خلاف السنة

عن سعيد بن المسيب أنه رأىٰ رجلاً يُصلِّي بعد طُلوع الفجر أكثر من ركعتين، يُكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه، فقال: «يا أبا محمدٍ، يُعذِّبني اللَّه

(١) رواه الدارميُّ في «سننه» (١/ ٦٨، ٦٩)، بسند صحيح.

على الصلاة؟!»

قال: «لا، ولكن يعذِّبُك على خلاف السنة»[١] .

أهل السنة نقاوة المسلمين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

«أهل السنة نُقَاوَةُ المسلمين، وهم خيرُ الناسِ للنَّاس»[٢] .

أخشى عليك الفتنة!

عن سفيان بن عُيَيْنَة ـ رحمه الله ـ قال:

سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: «يا أبا

(١) رواه البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٦٦)، والدارميُّ (١/ ١١٦)، وهو صحيح الإسناد.

(٢) «منهج السنة النبوية» (٥/ ١٥٨).

عبد اللَّه، من أين أُحرم؟»

قال: «من ذي الحُليفة، من حيث أحرم رسول اللَّه ﷺ». فقال: «إني أريد أن أُحرم من المسجد عند القبر».

قال: «لا تفعل؛ فإني أخشىٰ عليك الفتنة».

فقال: «وأي فتنة في هذا؟! إنما هي أميال أريدها».

قال: «وأي فتنة أعظم من أن ترىٰ أنك سبقت إلىٰ فضيلة قصر عنها رسول اللَّه ﷺ؟! إني سمعت اللَّه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][1].

---

(١) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» (١/ ١٤٨)، وأبو نعيم في«الحلية» (٦/ ٣٢٦) والبيهقيُّ في«المدخل» (٢٣٦)، وابن بطَّة في «الإبانة» (٩٨)، وعزَاها أبو شامة في «الباعث» (٩٠)، للخلاَّل.

لا تجالس حزبيا

قال الإمام ابن بطَّة ـ رحمه اللَّه ـ:

«اعلموا ـ إخواني ـ أني فكَّرت في السبب الذي أخرج أقوامًا من السنة والجماعة، واضطرَّهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم ـ فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السؤال عمَّا لا يعني، ولا يضر المسلم جهله، ولا ينفع المؤمن فَهمُهُ.

والآخر: مجالسة من لا تُؤْمَنْ فِتْنتُهُ، وتُفْسدُ القلوب صُحبتُهُ»[1].

---

(١) «الإبانة» لابن بطة (١/ ٣٩٠).

الطريق الموصل إلى الله واحد

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال:

«خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خطَّ خُطوطًا عن يمينه وعن شِماله، ثم قال: «**وهذا سُبُلٌ، وعلى كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[1].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله، وأنزل كتبه، ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كلِّ طريقٍ واستفتحوا من كلِّ بابٍ فالطريق عليهم مسدودة، والأبواب مغلقة، إلا من الطريق

(١) رواه أحمد وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

الواحد، فإنَّه مُتَّصِل بالله، موصل إلى الله»[١].

لا تجالسوهم!

قال أبو قلابة ـ رحمه الله ـ:

«لا تجالسوهم ـ أي: أصحاب البدع ـ ولا تُخالطوهم؛ فإنه لا آمن أن يفسدوكم ويَلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون»[٢].

نهي السلف عن مجالسة أهل البدع

قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ:

«كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع،

---

(١) «التفسير القيِّم» (ص١٤، ١٥).
(٢) «الاعتقاد» (ص١١٨) بتحقيق الحلبيّ، و«السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ص١٨).

والنظر في كتبهم، والاستماع إلى كلامهم»[١].

نهي السلف عن الاستماع للمبتدعة

قال أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ـ بعد ذكره أهل البدع ومجانبتهم:

«ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالآذان، وقرَّت في القلوب ضرَّتْ، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّتْ»[٢].

لتقومانّ عني!

دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: «يا أبا بكر، نُحدِّثك بحديث؟» قال:

---

(١) «الآداب الشرعيَّة» لابن مفلح (١/ ٢٦٣).

(٢) عقيدة السَّلَف أصحاب الحديث (ص١٠٠).

«لا»، قالا: «فنقرأ عليك آية من كتاب اللَّه؟» قال: «لا، لَتَقومانِّ عنِّي أو لأقومنَّ»(١).

مصاحبة الفاسق أهون من المبتدع

نقل ابن بطة عن سعيد بن جبير ـ رحمه اللَّه ـ قوله:

«لأن يصاحب ابني فاسقًا شاطرًا ـ أي: قاطع طريق ـ سنيًا أحب إليَّ من أن يَصحب عابدًا مبتدعًا»(٢).

جالس أهل البدع فصار مُلحدًا!

قال الذهبي ـ رحمه اللَّه ـ في ترجمة الريوندي:

«وكان يلازم الرافضة والملاحدة، فإذا عُوتبَ قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم، إلى أن صارَ مُلحدًا،

---

(١) رواه الدارميُّ (١/ ١٠٩)، واللالكائيُّ (٢٤٢).
(٢) «الإبانة الصغرى» (ص١٣٢).

وحطٌّ على الدين والملة»[١] .

جالس المعتزلة، فوقع في حبائلهم

قال الذهبي - رحمه الله - في ترجمة ابن عقيل الحنبلي - حيث نقل عنه قوله:

«وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هِجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرِمني عِلمًا نافعًا» فعلّق الذهبي بقوله: «كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة ويأبى، حتى وقع في حبائلهم، وتجسَّر على تأويل النصوص، نسأل اللّه السلامة»[٢] .

---

(١) «السير» (٤/ ٥٩).

(٢) «السير» (١٩/ ٤٤٧).

من سمع ببدعة، فلا يحكها لجلسائه

قال سفيان الثوري ـ رحمه اللَّه ـ:

«من سمع ببدعة فلا يَحكِها لجُلسائه، لا يُلْقِها في قلوبهم».

أوردها الذهبي وعلّق عليها بقوله: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشُّبه خطّافة»(١).

أسباب ظهور المبتدعة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهليّة وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم

---

(١) المرجع السابق (٧/ ٢٦١).

بالنُّبوَّة والمتابعة لها مَنْ يُظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمُحال»[١].

لا تناظر مُبتدعاً مقيماً على بدعتِه

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ:

«ما ناظرتُ أحداً علمتُ أنه مقيمٌ على بدعةٍ».

وشرح الإمام البيهقيُّ ـ رحمه الله ـ كلام الشافعي بقوله: «وهذا لأن المقيم على بدعته قلَّما يرجع بالمناظرة عن بدعته، وإنما كان يُناظر مَن يرجو رجوعَهُ إلى الحق، إذا بيَّنه له»[٢].

---

(١) «الفتاوى» (٢٨/ ٢١٣، ٢١٦، ٢١٨).

(٢) «مناقب الشافعيِّ» للبيهقيِّ (١/ ١٧٤).

إذا غلب على ظنك رجوع المبتدع بالمناظرة فابدأ بهدم ما عنده قبل أن توضح له الحق الذي عندك

قال الإمام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن المبتدع الذي بنىٰ مذهبه علىٰ أصلٍ فاسدٍ، متىٰ ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً أخذ يُعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة، فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحقِّ لم يدخل الحق إلىٰ قلبه، كاللَّوح الذي كُتب فيه كلام باطل، فامْحُهُ أولاً ثم اكتب فيه الحقَّ»(١).

* * *

(١) جواب أهل العلم والإيمان في تفاضل القرآن بواسطة كتاب «جوامع الآداب» للقاسميِّ (ص٧٨) لعدم وجود الكتاب بين يديَّ الآن.

الباب الثالث

الرقائق

حقيقة الشكر

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ في حقيقة الشكر في العبودية:

«هو ظهور أثر نعمة اللَّه على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شُهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير آية: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]:

«المقصود بالتحديث في الآية الكريمة: إما أنه ذكر النعمة والإخبار بها، وقوله: أنعم اللَّهُ عليّ بكذا

وكذا، وإما أن يكون التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية هو الدعوة إلى اللَّه، وتبليغ رسالته، وتعليم الأُمَّة.

والصواب: أنه يعُمُّ النوعين»[١].

باب العقل والراحة

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ:

«باب عظيم من أبواب العقل والراحة، وهو طرح المبالاة بكلام الناس، واستعمال المبالاة بكلام الخالق - عزَّ وجلَّ - ، بل هذا باب العقل كُلّه، والراحة كُلِّها، ومن قُدِّر أنه يسلم من طعْنِ الناس وعيبهم فهو مجنون»[٢].

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (ص٣٨٦) بتصُّرفٍ.
(٢) «الأخلاق والسير» (ص٤٥).

إجابة الدُّعاء ليس علامة الرضا

قال شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ:

«فليس كُلُّ مَنْ متَّعه اللَّه برزقٍ ونصْرٍ ـ إمَّا إجابةً لدعائه، وإما بدون ذلك ـ يكون ممَّن يُحبُّه اللَّه ويواليه، بل هو ـ سبحانه ـ يرزق المؤمن والكافر، والبرَّ والفاجر، وقد يُجيب دعاءهم، ويُعطيهم سؤالهم في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خَلاقٍ»[1].

امتحان..

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«إنما يجدُ العبدُ المشقَّة في ترك المألوفات من تركها

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤١٣).

لغير اللَّه، أمَّا من تركها صادقًا مُخلصًا من قلبه للَّه، فإنه لا يجد في تركها مشقَّة، إلا في أوَّل وَهْلةٍ، يُمتحنَ أصادق في تركها أم كاذبٌ؟ صبر على تلك المشقة قليلاً، استحالت لَذّةً»[1] .

الفراغ من أسباب العِشق

قال ابن عقيلٍ الحنبليُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«وما كان العشقُ إلا عن بطَّالٍ، وقلَّ أن يكون في مشغولٍ ولو بصناعةٍ، أو تجارةٍ، فكيف بعلومٍ شرعيةٍ؟!»[2] .

---

(١) «الفوائد» (ص١٤١).

(٢) «الآداب الشرعيَّة» لابن مُفْلح (٣/ ١٢٦).

التحسُّر على العُمر

قال الشاطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

لو أنَّ عَينًا ساعدتْ لتَوكَّفَتْ[١]
سحائبُها بالدَّمْعِ دِيَمًا وهُطَّلا[٢]
لكنَّها عَنْ قَسْوَةِ القَلْبِ قَحْطُها
فيا ضيعةَ الأعمارِ تَمشِي سَبَهْلَلا[٣] [٤]

---

(١) لتوكَّفَتْ: قَطَرَتْ.

(٢) الدِّيَم ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ جمع دِيْمةٍ، وهو المطر بلا رَعْدٍ ولا بَرْقٍ، والهَطْل: تتابع المطر والدَّمع وسَيَلانُهُ، وبابُهُ ضرب.

(٣) السَّبَهْلَلُ: الفارغ الذي لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة، يقال: جاء الرجل يمشي سبهللاً، : إذا جاء وذهب في غير شيءٍ.

(٤) متن الشاطبية (ص٧).

أهمية أعمال القلوب

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه اللَّه ـ عن أعمال القلوب:

«هي من أصول الإيمان، وقواعد الدين، مثل: محبة اللَّه ورسوله، والتوكُّل على اللَّه، وإخلاص الدين للَّه، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرَّجاء له، وهذه الأعمال جميعُها واجبةٌ على جميع الخلق باتِّفاق أئمَّة الدِّين»[1].

أعمال القلوب هي الأصل

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح

(١) «الفتاوىٰ» (١٠/ ٥)، وانظر «الفتاوىٰ» (٢٠/ ٧٠).

تبعٌ ومُكمِّلة، وإنَّ النيَّة بمنزلة الرُّوح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فمواتٌ، فمعرفة أحكام القلوب أهمُّ من معرفة أحكام الجوارح»[١] .

الإقبال على الله

قال شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ:

«فليس في الكائنات ما يسكنُ العبدُ إليه، ويطمئنُّ به، ويتنعَّم بالتوجُّه إليه ـ إلا اللَّه سبحانه وتعالىٰ ـ، ومَنْ عَبَدَ غيرَ اللَّهِ ـ وإن أحبَّه وحصل به مودة في الحياة ونوع من اللَّذَّةِ ـ فهو مفسدة لصاحبه أعظم من التذاذ أكلِ الطعام المسموم»[٢] .

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٢٤).

(٢) «مجموع الفوائد» (١/ ٢٤).

للعبد بَيْنَ يَدَي اللهِ موقفان

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«للعبد بين يدي اللَّه موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم القيامة، فمن قام بحقِّ الموقف الأوَّل، هَوَّن عليه الموقف الآخر، ومَنِ استهان بهذا الموقف، ولم يُوَفِّهِ حقَّه ـ شَدَّدَ عليه ذلك الموقف»(١) .

ليس لك من عُمرك إلا ما كان لله

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«من لم يكن وقتُهُ للَّه وباللَّه، فالموت خير له من الحياة، وإذا كان العبد وهو في الصلاة ليس له من

---

(١) «الفوائد» (ص٢٠٠).

صلاته إلا ما عقلَ منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه باللَّه وللَّه»[١] .

التزكية لا تكون إلا عن طريق الرُّسُل

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«وتزكيةُ النفوس أصعبُ من علاج الأبدان وأشدُّ، فمَنْ زكَّىٰ نفسه بالرِّياضة والمجاهدة التي لم يجئ بها الرُّسُل ـ فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيُهُ من معرفة الطبيب؟! فالرسل أطبّاء القلوب، فلا سبيلَ إلىٰ تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلىٰ أيديهم، وبمَحضِ الانقياد والتسليم، واللَّه المستعان»[٢] .

---

(١) «الداء والدواء» (ص١٨٦) بتصرُّفٍ.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٠).

أصول المعاصي

يقولُ الإمام ابن القيِّم ـ رحمه اللَّه ـ:

«أصول المعاصي كُلِّها كِبارها وصغارها ثلاثة:

تعلُّق القلب بغير اللَّه، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية.

وهي: الشرك، والظلم، والفواحش.

فغاية التعلق بغير اللَّه شرك، وأن يدَّعي معه إله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بين الثلاثة في قوله: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ** ﴾ [الفرقان: ٦٨]»[١].

---

(١) «الفوائد» (ص١٠٦).

أصول الخطايا

قال ابن القيم ـ يرحمه اللَّه ـ:

«أصول الخطايا كُلِّها ثلاثة :

الكِبْرُ: وهو الذي صار إبليس إلى ما أصاره .

والحِرْصُ: وهو الذي أخرج آدم من الجنة .

والحسد: وهو الذي جرَّ ابن آدم على أخيه .

فمن وُقي شرَّ هذه الثلاثة فقد وُقِيَ الشرَّ، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبَغْيُ والظلم من الحسد»[1] .

---

(1) المرجع السابق (ص٥٨) .

من دقائق أبواب الرياء

قال الإمام ابن رجب الحنبليُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«هاهنا نُكتة دقيقة، وهي أنَّ الإنسان قد يَذُمُّ نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يرىٰ الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم، ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبَّه عليه السَّلفُ الصالحُ».

قال مُطَرِّف بن عبد اللَّه بن الشِّخِّير:

«كفىٰ بالنفس إطراءً أن تذمَّها علىٰ الملإ؛ كأنك أردت بذمِّها زينتها، وذلك عند اللَّه سَفَهٌ»[1].

---

(١) «ذمُّ المال والجاه» (ص٤٨).

معرفة خطورة النفس

قال الإمام مُطرِّف بن عبد اللَّه بن الشِّخِّير ـ رحمه اللَّه ـ:

«وجدتُ هذا الإنسان مُلقًىٰ بين اللَّه وبين الشيطان، فإن يعلم اللَّه في قلبه خيرًا يُجبذه إليه، وإلا يعلم فيه خيرًا وكله إلىٰ نفسه، ومن وُكِلَ إلىٰ نفسه فقد هلك»(١).

أسرار الاستجابة

جاء رجل إلىٰ التابعي الجليل طاوس ـ رحمه اللَّه ـ وقال له: «ادعُ اللَّه لنا». قال: ما أجد لقلبي خشيةً فأدعو لك»(٢).

---

(١) «الزُّهْد» للإمام أحمد (ص٢٤٢).
(٢) «السير» (٥/ ٤٢).

أفضل قاعدة للتعامل مع النوم

قال عوض القرنيُّ ـ حفظه اللَّه ـ:

«أفضل قاعدة في التعامل مع النوم عرفها الإنسان هي: نم مُبكِّرًا، واستيقظ مبكرًا.

ولقد ثبت علميًّا أن أفضل أوقات النوم ما كان بعد صلاة العشاء، وأن الساعة من النوم أوَّل الليل تعادل ساعتين من آخره، ولا يقوم مقامها ساعات من نوم النهار»[١].

تصبير النفس

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ:

«سار الإمام بشر الحافي، ومعه رجل في طريق،

---

(١) حتى لا تكون كَلاً (ص١١١ ـ ١١٢).

فعطش صاحبه، فقال له: تشرب من هذا البئر؟ فقال بشر: «اصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصل إليها قال له: البئر الأخرى، فما زال يُعَلِّلُهُ، ثم التفت إليه فقال له: هكذا تنقطع الدنيا!».

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

«ومن فهم هذا الأصل علَّل النفس، وتلطَّف بها، ووعدها الجميل؛ لتصبر على ما قد حملت، كما كان بعض السلف يقول لنفسه: «والله ما أُريد بمنعك من هذا الذي تُحبِّين إلا الإشفاق عليك»[1].

أنزل حاجتك بمن بابه مفتوح لك

قال عطاء بن أبي رباح - رحمه الله -:

«قال لي طاوس: ياعطاءُ، ولا تُنْزِلنَّ حاجتك بمن

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٩٩).

أغلق دُونَك أبوابه، وجعل عليه حُجَّابَهُ، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أَمَرَكَ أن تدعوَهُ، وضَمِنَ لك أن يستجيبَ لك»(١).

عليك بهم الدُّعاء، فإنَّ الإجابة معه

قال عمر بن الخطَّاب - رضي اللَّه عنه -:

«إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همّ الدُّعاء؛ فإذا أُلْهِمْتُ الدُّعاءَ، فإن الإجابة معه»(٢).

إني لأعلم حين يستجيب لي

نقل التابعيُّ الجليل ثابت البناني - رحمه اللَّه - عن أحد العُبَّاد قوله: «إني لأعلم حين يستجيب لي ربي -

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزيِّ (٨/ ٢٨٨).

(٢) «الفوائد» لابن القيِّم (١٢٧، ١٢٨).

عزَّ وجلَّ ـ. قال: فعجبوا من قوله!

قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربُّك؟!

قال: نعم. قالوا: وكيف تعلم ذلك؟!

قال: إذا وَجِلَ قلبي، واقشعرَّ جلدي، وفاضت عيني، وفتح لي في الدعاء؛ فثمَّ أعلم قد استُجيب لي»[١].

خواءُ القلب

قال العلامة المناوي ـ رحمه الله ـ:

«إن الإنسان إذا تعطّل عن عملٍ يَشْغَلُ باطِنَهُ بمباحٍ يستعينُ به على دينه ـ كان ظاهرُهُ فارغًا، ولم يبقَ قلبُهُ فارغًا، بل يُعَشْعِش الشيطان، ويَبيض ويُفَرِّخ، فيتوالد فيه نسلُهُ توالدًا أسرعَ من توالدِ كُلِّ

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٢٦١).

حيوانٍ، ومن ثمَّ قيل: الفراغُ للرجل غفلة، وللنساء غلمة[١]»[٢].

محاسن طلب الرزق

قال الإمام البيهقي ـ رحمه اللَّه ـ:

«بلغنا عن ابن السماك أنَّه قال:

«لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليومَ مشغولاً بما أنت عنه غداً مسئولاً، وإياك والفضول؛ فإن حسابه طويل»[٣].

---

(١) غلمة: الغلمة هيجان شهوة النكاح من المرأة، والرجل، وغيرهما [لسان العرب (٢/ ١٠١٠)].

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٢/ ٢٩٠).

(٣) «المحاسن والمساوي» للبيهقي (ص٣٢٣).

مفتاح التوفيق

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«أجمعوا أن التوفيق ألا يكِلَكَ اللَّهُ إلىٰ نفسك، وأنَّ الخِذْلانَ هو أن يُخليَ بينك وبين نفسك، فإذا كان كلُّ خير فأصله التوفيق، وهو بيد اللَّه لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار، وصدق اللجإ والرغبة والرهبة إليه، فمتىٰ أُعطيَ العبدُ هذا المفتاحَ، فقد أراد اللَّه أن يفتح له، ومتىٰ أضلَّه عن المفتاح، بقي باب الخير مُرْتَجًا[١] دُونَهُ»[٢].

---

(١) مُرْتَجًا: مُغْلقًا.

(٢) «الفوائد» (١٢٧، ١٢٨).

غذاء الروح

قال الإمام ابن القيِّم - يرحمه اللَّه -:

«إنَّه حضر شيخُهُ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة ذات مرَّةٍ، فصلَّىٰ الفجر، ثم جلس يذكر اللَّه إلىٰ قريبٍ من منتصف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغذاءَ سقطت قوَّتي»[١].

الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم

قال الإمام القدوة التابعيُّ الجليل مُطرِّف بن الشِّخِّير - رحمه اللَّه -:

«إن هذا الموت أفسد علىٰ أهل النعيم نعيمهم؛ فاطلبوا نعيمًا لا موتَ فيه»[٢].

---

(١) «الوابل الصيِّب» لابن القيِّم (ص٣٩-٤٠).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٩١).

علامة كمال العقل

قال الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ:

«من علامة كمال العقل عُلُوُّ الهمَّة، والراضي بالدونِ دنيءٌ»(١).

من أسباب إجابة الدعاء

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠].

---

(١) «صيد الخاطر».

يقول الإمام النسفي ـ يرحمه اللَّه ـ في تفسير هذه الآية:

﴿ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾: أي أنهم إنما استحقُّوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير، ومسارعتهم إلى تحصيلها»[1].

الحياة الطيبة

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُم أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

قال القُرطبي ـ رحمه اللَّه ـ في معنى الحياة الطيبة:

١ ـ الرزق الحلال. ٢ ـ القناعة. ٣ ـ توفيقه سبحانه

---

(١) تفسير النسفي (٢/ ٤١٧).

إلى الطاعات، فإنها تؤويه إلى رضوانه. ٤ ـ الجنة. وقيل: السعادة»[1].

أشدُّ آية على العلماء

قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢ ـ ٦٣].

قال ابن جرير ـ يرحمه اللَّه ـ:

«كان العلماء يقولون: ما في القرآن أشدُّ توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها»[2].

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ١٧٤).

(٢) تفسير ابن جرير (٦/ ١٧٠).

كونوا ربانيين

قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما في قوله تعالى:
﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: حكماء فقهاء .

ويُقال : الرَّبَّانِيُّ: الذي يُربِّي الناسَ بصِغار الأمور قبل كبارها .

قال ابن القيم - يرحمه اللَّه - : «وفيه - أيضًا - تنبيه لأهل العلم علىٰ تربية الأُمَّة كما يُرَبي الوالد ولدَه ؛ فيُربُّونهم بالتدريج والترقي من صِغار العلم إلىٰ كِباره ، وتحميلهم منه ما يُطيقون ، كما يفعل الأب بولده الطفل

في إيصال الغذاء إليه»[1] .

أقسام الفرح

قال العلاَّمة عبد الرحمن بن سَعْديٍّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«الفرح ورد في القرآن محمودًا مأمورًا به في مثل قوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] .

فهذا فرح بالعلم، والعمل بالقرآن والإسلام .

وكذلك قوله : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٠] .

فهذا فرح بثواب اللَّه .

وورد منهيًّا عنه مذمومًا، مثل : الفرح بالباطل،

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٩) .

وبالرِّياسات، والدنيا المشغلة عن الدين، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[هود: ١٠].

وقوله عن قارون:

﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

وما أشبه ذلك، فصار الفرح تبعًا لما تعلَّق به؛ إن تعلَّق بالخير وثمراته فهو محمود، وإلا فهو مذموم»[١].

العزة الحقيقية

عن ابن شهاب قال:

«خرج عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - إلى الشام، ومعنا أبو عبيدة بن الجرَّاح - رضي اللَّه عنه -،

---

(١) «تيسير اللطيف المنان» (ص٣٢٩ - ٣٣٠).

فأتوا على مَخَاضَةٍ، وعمرُ على ناقته، فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، تخلع خُفَّيك، وتضعها على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟! ما يسرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك.

فقال عمر: أَوَّه! لو يقل ذا غيرُك - يا أبا عبيدة - جعلتُه نكالاً لأُمَّة محمد ﷺ! إنَّا كنَّا أذلَّ قومٍ، فأعزَّنا اللَّه بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا اللَّه به أذلَّنا اللَّه»[1].

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٦١، ٦٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبيُّ، وقال الألبانيُّ في «الصحيحة» رقم (٥١) وهو كما قال.

تعريف الكبائر

قال ابن عبَّاسٍ - رضي اللَّه عنهما -: «الكبائر: كُلُّ ذنبٍ ختمهُ اللَّه - تعالىٰ - بنارٍ، أو غضبٍ، أو لعنةٍ، أو عذاب»[1].

منافع الجماع

قال العلامة ابن القيم - رحمه اللَّه -:

«إن الجِماع وُضع في الأصل لثلاثة أمورٍ، هي مقاصده الأصلية:

أحدها: حفظ النسل، ودوام النوع إلىٰ أن تتكامل العدَّة التي قدَّر اللَّه بروزها إلىٰ هذا العالم.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٨٥)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٤٩).

الثاني: إخراج الماء الذي يضرُّ احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

الثالث: قضاء الوَطَر، ونيل اللَّذَّة، والتمتُّع بالنِّعمة»[١].

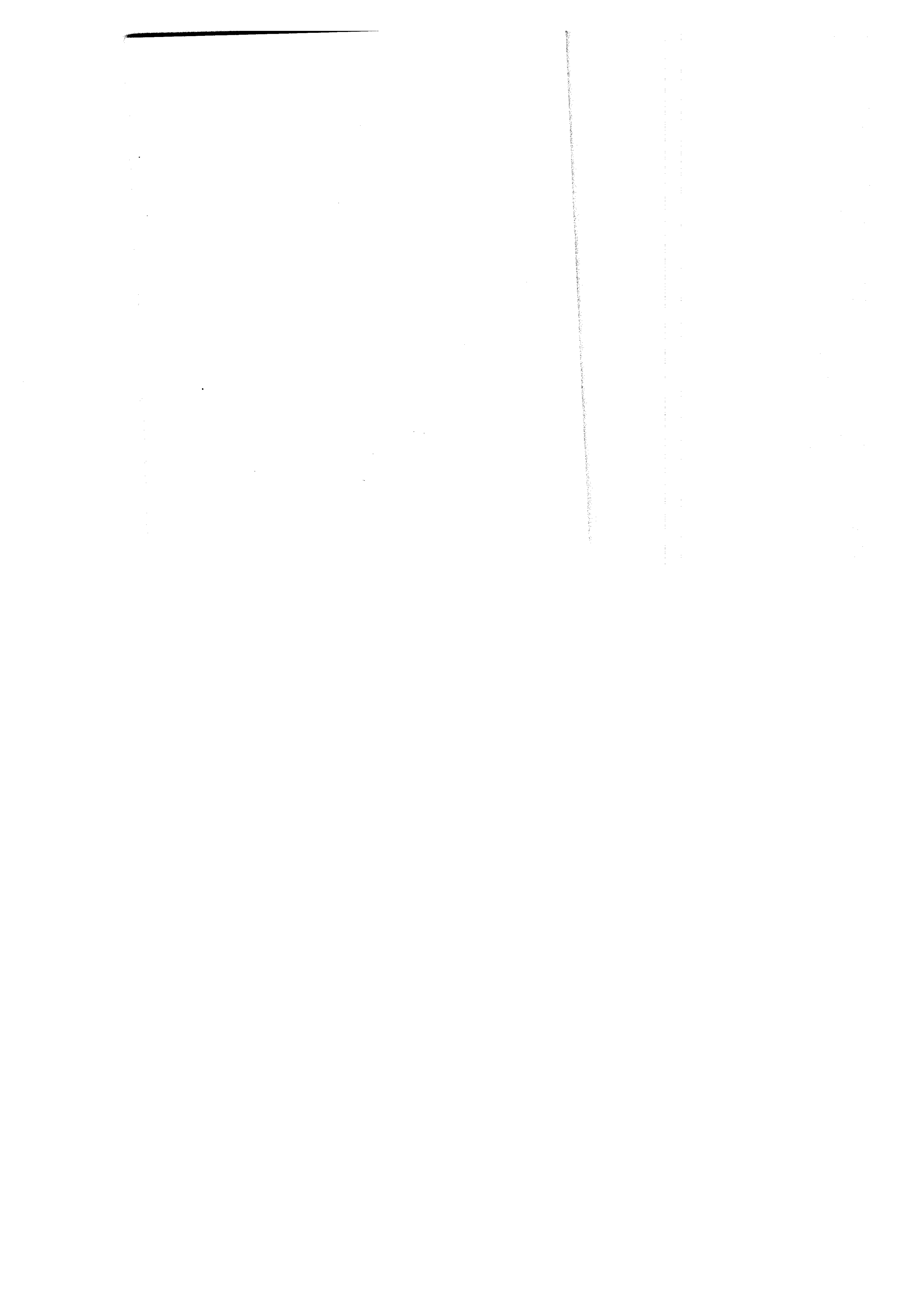
القلب السليم

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«القلب السليم الذي قد سلم من كُلِّ شهوةٍ تخالف أمر اللَّه ونهيَهُ، ومن كُلِّ شُبهةٍ تُعارض خبرَهُ»[٢].

* * *

(١) «الهدي النبويُّ» (٣/ ١٤٩).
(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧).



الباب الرابع
الدعوة إلى الله

حفظ رأس المال مُقدَّم على طلب الربح

قال الحافظ ابن هبيرة الوزير الخطير ـ رحمه الله ـ:

«ومعلوم أن المسلمين هم رأس كُلِّ مسلم، فتصفية الاعتقاد فيهم من شوائب الوثنية هو من باب حفظ رأس المال، وأمَّا دعوة الكافر إلى الإسلام فهي من باب طلب الرِّبح، ولا شكَّ أنَّ حفظ رأس المال مقدَّم على طلب الرِّبح، والله أعلم»[1] .

---

(١) انظر نحو هذا الرقيقة للحافظ ابن هبيرة كما في «فتح الباري» (١٢/ ٣٠١) الطبعة السلفية .

بعض صفات الداعي إلى الله

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه اللَّه ـ:

«فلا بُدَّ من هذه الثلاث:

العلم، الرِّفق، الصَّبر.

العلم قبل الأمر والنهي.

الرِّفق معه.

الصبر بعده.

وإن كان كُلٌّ من الثلاثة لابدَّ لها من مستصحبًا في هذه الأحوال»[1].

---

(١) «الحسبة في الإسلام» (ص٨٤).

قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الإمام ابن القيم ـ يرحمه اللَّه ـ:

«فإنكار المنكر أربع درجات:

الأول: أن يزول ويخلفه ضدُّه.

الثاني: أن يقلَّ وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلُفَه ما هو مثله.

الرابعة: أن يَخْلُفَهُ شرٌّ منه.

فالدرجتان الأولَيان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة»[١].

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ١٦).

آداب النصيحة

قال مِسْعرُ بن كِدامٍ ـ يرحمه اللَّه ـ:

«رحِمَ اللَّه مَن أهدىٰ لي عيوبي في سترٍ بيني وبينه؛ فإن النصيحة في الملإ تقريعٌ»(١) .

جهاد المنافقين

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [التوبة: ٧٣] .

قال ابن القيم ـ يرحمه اللَّه ـ:

«جهاد الكفَّار والمنافقين إنما هو تبليغ الحجَّة» إلىٰ أن قال: «جهاد المنافقين أصعبُ من جهاد الكفار، وهو جهاد خواصِّ الأُمَّة وورثة الرسل، والقائمون به

(١) «بهجة المجالس» (١/ ٤١٧) .

أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه - وإن كانوا الأقلِّين عَدَدًا - فهم الأعظمون عندالله قدرًا»[١] .

النصيحة ثمرة من ثمار الأخوَّة

قال محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله -:

«لو أنصف خصومُنا، لعلموا أن إنكارنا عليهم هو دليل أخوَّتنا لهم، بل دليل صدقنا في هذه الأخوة، فلو لم يكونوا إخواننا في الدين، لما أنكرنا عليهم ما أنكره الدين، وأن الدين الذي أوجب علينا أن ننكر المنكر، يوجب عليهم الفَيْئة إلى الحق، ويُوجب علينا جميعًا التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، والرضا بحكمهما، والتسليم لهما، والرجوع

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٥).

إلى سبيلهما الجامعة، وقد دعوناهم إلى هذا، ولا نزال ندعوهم»[١] .

طلب العلم ونشره حُلمٌ يراود العلماء

قال الإمام ابن حزم ـ يرحمه اللَّه ـ:

مُنايَ من الدنيا علومٌ أَبُثُّها
وأنشُرُها في كُلِّ بادٍ وحاضرِ
دعاءٌ إلى القرآنِ والسُّنةِ التي
تناسى رجالٌ ذِكْرَها في المحاضر[٢]

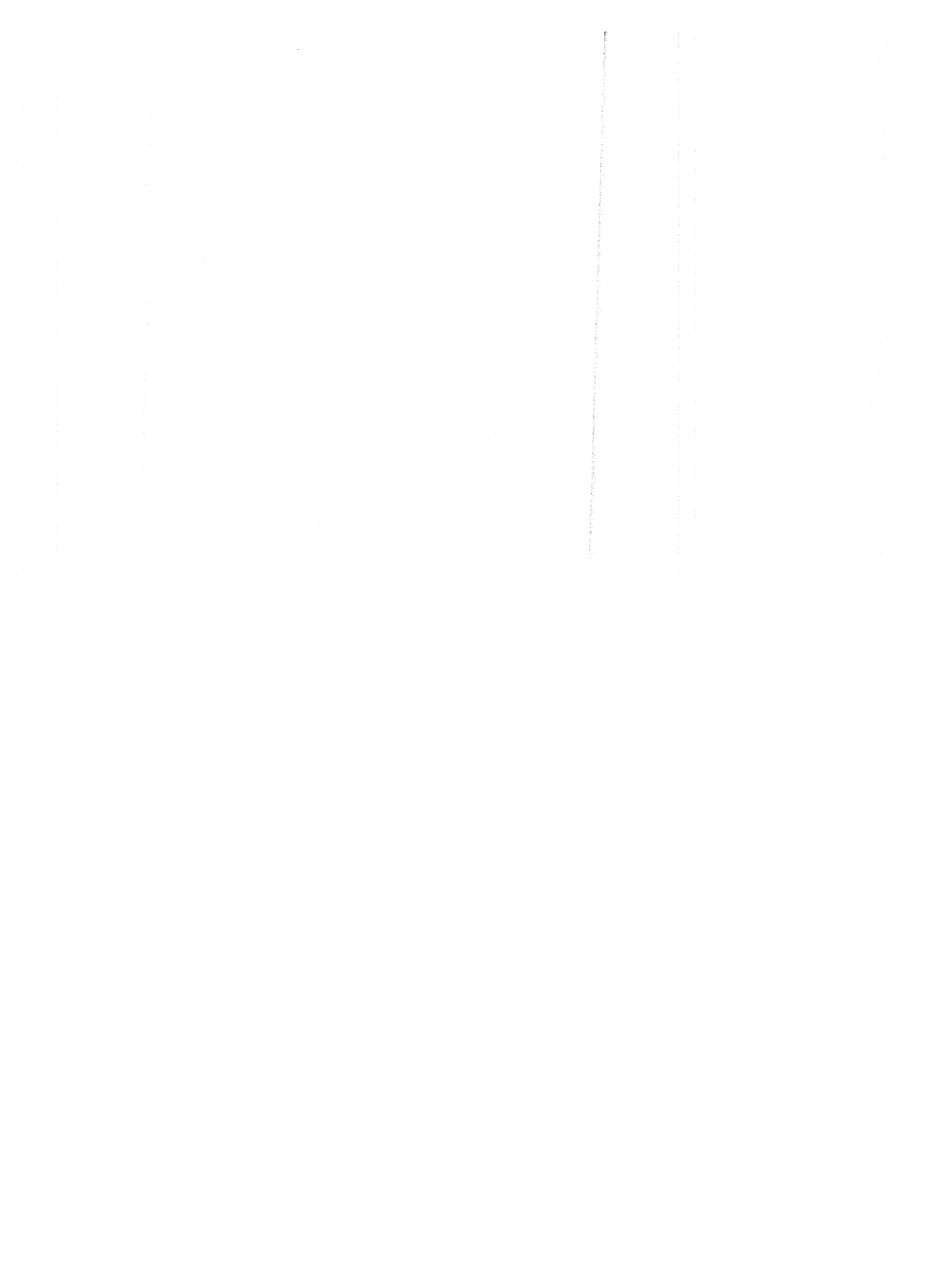
(١) آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ١٥٠).
(٢) «جذوة المقتبس» لمحمد بن أبي نصر فتوح الحميديّ (ص٣١٠).

المؤمن كالغيث، أينما وقع نفع

نفىٰ يزيدُ بن عبد الملك الإمام عراك بن مالكٍ إلىٰ دهلك (جزيرة بين برِّ اليمن وبرِّ الحبشة) فنفعَ اللَّه بعلمه أهل تلك الجزيرة، فكان أهل دهلك يقولون: «جزىٰ اللَّه عنَّا يزيد خيرًا، أخرج إلينا رجلاً علَّمنا اللَّه الخيرَ علىٰ يديه»[١].

* * *

(١) «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٧٣).



الباب الخامس

الأدب

أنفع الأدب

سُئِل الحسن البصريُّ - رحمه اللَّه - عن أنفع الأدب، فقال: «التفقُّه في الدين والزُّهد في الدنيا، والمعرفة بما للَّه عليك»[١] .

حاجتنا إلى الأدب

قال ابن المبارك - رحمه اللَّه -:

«نحن إلى قليلٍ من الأدب أحوج مِنَّا إلى كثير من

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٢).

العلم»(١) .

أدبُ المرءِ عنوان سعادته

قال الإمام ابن القيم ـ يرحمه اللَّه ـ:

«وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه»، وقلَّةُ أدبه عُنوانُ شقاوته وبواره، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدَبِ، ولا استُجلب حرمانُهما بمثل قِلَّةِ الأدب»(٢) .

احذر التهاون بالأدَب

قال عبد اللَّه بن المبارك ـ رحمه اللَّه ـ:

«مَنْ تَهَاوَنَ بالأدَبِ عُوقِبَ بحِرْمَانِ السُّنَنِ، ومَن

---

(١) «شرح الأدب المفرد» (٢/ ٣٩٢) .

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٠٧) .

تَهَاوَنَ بالسُّنَنِ، عُوقِبَ بحرمان الفرائضِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بالفرائض عُوقِبَ بحرمان المعرفة»[١].

شروط الرئاسة أو الرجولة

عن ابن عيينة وحماد بن زيد ـ رحمهما اللَّه ـ: «لا يتمُّ الرِّئاسة للرجال إلا بأربع: علم جامع، وورع تامٍّ، وحلم كاملٍ، وحُسْنِ التدبير، فإن لم يكن هذه الأربع، فمائدة منصوبةٌ، وكفٌّ مبسوطةٌ، وبذلٌ مبذُولٌ، وحُسْنُ المعاشرة مع الناس، فإنْ لم تكُن هذه الأربع، فبضربِ السيف، وطعن الرمح وشجاعة القلب، وتدبير العساكر، فإن لم يكن فيه من هذه الخصال شيءٌ فلا ينبغي له أن يطلب الرِّئاسة»[٢].

---

(١) «شرح الأدب المفرد» (٢/ ٣٩٧).

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقيِّ (٦/ ٧٦).

الخشوع وعلو الهمة أساس الأخلاق الفاضلة

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«وأمَّا الأخلاق الفاضلة: كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة، والعفة، والصيانة، والجود، والحِلْم، والعفو، والصفح، والاحتمال، والإيثار، وعزَّة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة، والصدق، والإخلاص، والمكافآت على الإحسان بمثله، أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة، ونحو ذلك، فكلها ناشئة عن الخشوع وعلوّ الهمة.

واللَّه سبحانه وتعالى أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء، فتهتزّ وتأخذ زينتها

وبهجتها، فكذلك المخلوق، إذا أصابه حظُّه من التوفيق»[1] .

الحثُّ على اكتساب علوّ الهمة

قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ:

«فينبغي للعاقل أن ينتهي إلىٰ غاية ما يمكنه؛ فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات، لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النُّبوَّة تحصل بالاجتهاد لرأيت المقصِّر في تحصيلها في حضيض، غير أنه إذا لم يمكن ذلك، فينبغي أن يطلب الممكن، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلىٰ غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[2] .

(١) «الفوائد» (ص٢١٠ ـ ٢١١).
(٢) صيد الخاطر.

لا تقنع بما دون الغاية من المطالب العالية

قال عليّ بن المقرب العيوني ـ يفخر بعلوِّ همَّته ـ:

يُشَـيِّـعُني قلبٌ إلى العـزِّ تائقٌ
ونفسٌ إلى العَلْيَاء شديدٌ نُزُوعُها[(١)]

أشَـر منهـا من أن يكـونَ إباؤُها
لواجب حقٍّ أو لضَـيْم[(٢)] خُنُوعُـها

وما أنـا في السَّرَّاء يومًـا فَرُوحُـها
ولا أنا في الضَّراء يـومًا جَزُوعُـها

سَـأُنْزِلُها الملحـودَ أو رأس هضبـة
من العـزِّ يُعيـي كُلَّ راقٍ طُلوعُهـا

---

(١) نزوعها: اشتياقها.
(٢) الضَّيم ـ بالفتح ـ الظُّلم.

وما طَلَبِي العَلياءَ أرث كلالة
فيقصرُ خطوي دُونَها فأسوعُها[١]
عَليّ لها سَعْيُ الكرام، فإن أَمُتْ
فوهابُها سَلاَّبُها ونَزُوعُها[٢]

أكل القدر اليسير من الحلال

قال ابن جماعة ـ رحمه اللَّه ـ:

«من أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم المَلال ـ أكل القدر اليسير من الحلال» قال الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ: «ما شبعتُ مُنْذُ ستَّ عَشْرَةَ سنةً. وسبب ذلك أن كثرةَ الأكل جالبةٌ للنوم، والبلادة، وقصور الذِّهن، وفتور الحواس، وكسل

(١) أسوعها: أهملها.

(٢) علي بن المقرب العيوني حياته ـ شعره (ص٢٢٧).

الجسم، هذا مع ما فيه من الكراهية، كما قيل:

فـــإنَّ الداءَ أكـــثـــرُ مـــا تراه
يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ»[١] .

نفرة السلف عمن اشتهر بكثرة الأكل

قال ابن مُفْلح ـ رحمه اللَّه ـ:

«واعلمْ أن كثرة الأكل تُنوِّم، وأنه ينبغي النفرة ممَّن عرف بذلك، واشتهر به، واتخذه عادةً، ولهذا روىٰ مسلم عن نافع قال:

رأىٰ ابن عمر مسكينًا، فجعل يضع بين يديه، ويضع بين يديه، فجعل يأكل كثيرًا، قال: لا تُدخلنَّ هذا عليَّ، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «المؤمنُ يأكلُ في معى

(١) «تذكرة السامع والمتكلِّم» لابن جماعة (ص٧٤) .

واحد، والكافرُ يأكلُ في سبعةِ أمعاءٍ»[١] [٢].

استحباب أكل الطعام بعدَ ذهاب حرارته

عن أسماء بنت أبي بكر - رضي اللَّه عنها - أنها كانت إذا ثَرَدَت غطَّته شيئًا، حتىٰ يذهبَ فورُهُ، ثم تقولُ: إني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنه أعظمُ للبركة»[٣].

وقال أبو هريرة - رضي اللَّه عنه -: «لا يُؤكل طعامٌ حتىٰ يذهبَ بُخارُهُ»[٤].

---

(١) رواه البخاريُّ (٩/ ٤٦٨)، ومسلم (٢٠٦٠).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٢٠٣).

(٣) رواه الدارميُّ (٢٠٤٧)، وهو في «الصحيحة» للألباني (٣٩٢).

(٤) أخرجه البيهقيُّ (٧/ ٢٥٨٠)، وصحَّحه الألباني في «إرواء الغليل» (١٩٧٨).

ولم يكن النبي ﷺ يأكل طعامًا في وقت شدَّة حرارته، قاله ابن القيم[١].

وأقرب المعاني للبركة هنا هو ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبتُهُ من أذىً، ويُقوِّي على طاعة اللَّه، وغير ذلك، قاله النوويُّ[٢].

النهي عن عيب الطعام واحتقاره

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «ما عاب رسول اللَّه ﷺ طعامًا قطُّ، كان إذا اشتهى شيئًا أكله، وإن كرهه تركَهُ»[٣].

---

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٢٢٣).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٧٢).

(٣) رواه البخاريُّ (٥٤٠٩)، ومسلم (٢٠٦٤).

وعيب الطعام كقولك: مالح، قليل ملح، حامض، رقيق، غليظ، غير ناضج، ونحو ذلك، قاله النووي[1].

استحباب الكلام على الطعام

قال ابن مُفلح ـ رحمه اللَّه ـ:

قال إسحاق بن إبراهيم: «تعشَّيتُ مرَّةً أنا وأبو عبد اللَّه أحمد بن حنبل، وقرابةٌ له، فجعلنا لا نتكلم، وهو يأكل ويقول: الحمد للَّه وبسم اللَّه، ثم قال: أكلٌ وحمدٌ خيرٌ من أكلٍ وصمتٍ»[2].

---

(١) «شرح مسلم» (١٤/ ٢٢).
(٢) «الآداب الشرعيَّة» (٣/ ١٦٣).

قل لأهله يبنوا له مِعْلفًا[١]

سُئل سهلٌ التُّستري ـ رحمه اللَّه ـ:

«الرجل يأكل في اليوم أكلةً»؟ قال: أكلُ الصِّدِّيقين». قيل له: «فأكلتين؟» قال: أكلُ المؤمنين». قيل: «فثلاثًا؟» فقال: «قل لأهله يبنوا له معلفًا»[٢].

كراهة السؤال عن الطعام والشراب

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم، فأطعمه من طعامه، فليأكل ولا يسأل عنه، وإن سقاه من شرابه، فليشربْ ولا يسأل عنه»[٣].

---

(١) المِعْلَف: موضع العَلَف للدَّوابِّ.

(٢) «الفوائد» لابن القيمِّ (ص١٧٩ ـ ١٨٠).

(٣) صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥١٨).

تعليق السَّوط في البيت

عن ابن عبَّاس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**علِّقوا السَّوطَ حيثُ يراه أهلُ البيت؛ فإنه لهم أدبٌ**»(١).

التسمية والحمد

عند الشراب في كل مرة من الثلاث

عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يشربُ في ثلاثة أنفاسٍ، إذا أدنى الإناء إلى فمه سمَّى اللَّه تعالى، وإذا أخرَّه حَمِدَ اللَّه - تعالى -

---

(١) رواه الطبرانيُّ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٣/ ٤٣٢).

يفعلُ ذلك ثلاث مرَّاتٍ»(١) .

الاقتصاد في الأكل

عن المقدام بن مَعْد يكرِبَ ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : **«ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بَطْنه، بحسب ابن آدمَ لُقَيْماتٌ يُقمْنَ صُلْبَهُ، فإن كان لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطعامِه، وثُلُثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لنفسه»**(٢) .

نصفُ آيةٍ حوت الطبَّ كلّه !

قال اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[الأعراف: ٣١] .

---

(١) أخرجه ابن السُّنِّيِّ (٤٦٥)، والطبرانيُّ في «الأوسط»، والهيثميُّ في «المجمع» (٥/ ٨١) ، وإسناده حسن .
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢)، والتِّرمذيُّ (٣/ ٣٧٨)، والحاكم (٤/ ١٢١)، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٥) .

قال بعض العلماء: «جمع اللَّه بهذه الكلمات الطبَّ كُلَّهُ»(١) .

لذة المقتصد

قال شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ:

«فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من المسرفين فيها ؛ فإن أولئك إذا أدمنوها وألِفوها، لا يبقىٰ لها عندهم كبيرُ لذَّة، مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها»(٢) .

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلِّم» (ص١٢١)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/ ١٨٦).

(٢) «جامع الرسائل» لابن تيميَّة ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم (٢/ ٣٤٠).

احذر فضول الطعام

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«وأما فضول الطعام فهو داعٍ إلى أنواع كثيرة من الشر؛ فإنه يحركُ الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات، وحسبك بهذين شرًّا.

فكم من معصية جلبها الشِّبَعُ وفضول الطعام! وكم من طاعةٍ حال دُونها! فمن وُقيَ شرَّ بطنه، فقد وُقيَ شرًّا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام»[1].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٧٣).

الغفلة في الشبع

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«ولو لم يكن من الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلىٰ الغفلة عن ذكر اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ، وإذا غفل الإنسان عن الذكر ساعةً واحدةً، جَثَمَ عليه الشيطان، ووعده ومنَّاه وشهاه، وهام به في كل وادٍ.

فإن النفس إذا شبعتْ تحرَّكت وجالت وطافت علىٰ أبواب الشهوات، وإذا جاعتْ سكنت، وخشعت وذلَّت»[1].

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٧٣).

جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«جمع النبي ﷺ بين تقوىٰ اللَّه وحسن الخلق؛ لأن تقوىٰ اللَّه يُصلح ما بين العبد وبين ربِّه، وحُسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خَلْقِه، فتقوىٰ اللَّه توجب له محبة اللَّه، وحسنُ الخلق يدعو الناسَ إلىٰ محبَّته»(١) .

كن حافظًا للسر

قال العلامة عبد الرحمن بن سَعديٍّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«كن حافظًا للسرِّ، معروفًا عند الناس بحفظه؛ فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال، أفضوا إليك بأسرارهم، وعذروك إذا طويت سرَّ غيرك الذي هم

---

(١) «الفوائد» (ص٥٤).

عليه مشفقون، وخصوصًا إذا كان لك اتصال بكُلِّ واحدٍ من المتعادين، فإن الوسائل لاستخراج ما عندك تكثر وتتعدد من كُلٍّ من الطرفين، فإيَّاك إيَّاك أن يظفر أحدٌ منهم بشيء من ذلك تصريحًا أو تعريضًا.

واعلم أن للناس في استخراج ما عند الإنسان طرقًا دقيقة، ومسالك خفية، فاجعل كلَّ احتمالٍ - وإن بَعُدَ - على بالك، ولا تُؤتَ من جهةٍ من جهاتك؛ فإن هذا من الحزم.

واجزمْ بأنك لا تندم على الكتمان، وإنما الضرر والندم في العجلة والتسرُّع، والوثوق بالناس ثقةً تحملك على ما يضرُّ»[1].

---

(١) «الرياض الناضرة»، لابن سعْديٍّ (ص٢١٠).

مَنْ طلب الفضائل عليه بمصاحبة الأخيار

قال ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ:

«من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرمَ صديقٍ من أهل المواساة، والبرِّ والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحَّة المودة.

ومن طلب الجاه والمال، واللَّذات، لم يساير إلا أمثال الكلاب الكَلِبة[1]، والثعالب الخَلِبة[2]، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدوٍّ المعتقد خبيث الطبيعة»[3].

---

(١) «الكَلِبة: هي التي أُصيبت بداء الكلب: وهو السعار.

(٢) الخَلِبة: أي الخادعة.

(٣) «الأخلاق والسير» (ص٢٤ ـ ٢٥).

تبسَّم بين الإفراط والتفريط

قال الشافعيُّ ـ رحمه اللَّه ـ في وصيته ليونس بن عبد الأعلى:

«يا يونُسُ، الانقباض عن الناس مكسبةٌ للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السُّوء، فكن بين المنقبض والمُنبسطِ»(١).

الابتعاد عن المجاملة

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ:

«أبلغ في ذمِّك من مدحك بما ليس فيك؛ لأنه نبَّه على نقصك، وأبلغ في مدحك من ذمِّك بما ليس فيك؛ لأنه نبَّه على فضلك»(٢).

---

(١) «السير» (١٠/ ٨٩).

(٢) «الأخلاق والسير» (ص٣٨ـ٣٩).

اختلاف الهمم

اجتمع عبد اللَّه بن عمر، وعُروة بن الزبير، ومصعب بن الزُّبير، وعبد الملك بن مروان بِفناء الكعبة، فقال لهم مصعب: تمنَّوا. فقالوا: ابدأ أنت، فقال: ولاية العراق، وتزوُّج سكينة بنت الحسن، وعائشة بنت طلحة، فنال ذلك وصدَّق كل واحدةٍ خمسمائة ألف درهم، وجهَّزها بمثلها.

وتمنَّىٰ عُروة الفِقه، وأن يُحمل عنه الحديث، فنال ذلك.

وتمنَّي عبد الملك الخلافة فنالها.

وتمنَّىٰ عبد اللَّه الجنَّة![1].

(١) «وفيات الأعيان» لابن خَلِّكان (٣/ ٢٩ ـ ٣٠).

المرء حيث يجعل نفسه

كان كافور وصاحبه عبدين أسودين، فجيء بهما إلىٰ قطائع ابن طولون حاضرة الدِّيار المصرية وقتئذٍ ليباعا في أسواقها، فتمنَّىٰ صاحبه أن يُباع لطبَّاخ حتَّىٰ يملأ بطنَهُ بما يشاء، وتمنَّىٰ كافور أن يملك هذه المدينة، ليحكمَ وينهىٰ ويأمر، وقد بلغ كُلٌّ مناه، فبيع صاحب كافور لطبَّاخ، وبيع كافور لأحد القُوَّاد المصريين، فأظهر كفاءة واقتداراً، ولمَّا مات مولاه، قام مقامَهُ، واشتهر بذكائه، وكمال فِطنته، حتىٰ صار رأسَ القوَّاد، صاحب الكلمة عند الولاةِ، وما زال يجدُّ ويجتهد حتىٰ ملك مِصْرَ، والشام، والحرمين، ثم مرَّ يومًا بصاحبه، فرآه عند طبَّاخ بحالة سيئة، فقال لمن معه: «لقد قعدَتْ بهذا همَّتهُ، فكان كما ترون،

وطارت بي همَّتي، فكنت كما ترون، ولو جمعتني وإياه همَّة واحدة، لجمعنا عملٌ واحد»

ولله درُّ عمرو بن العاص حيثُ قال: «المرءُ حيثُ يجعلُ نفسَهُ: إن رفعها ارتفعت، وإن وضعها اتضعت»[١].

ما خلا جسدٌ من حسد

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه اللَّه ـ:

«ما خلا جسدٌ من حسدٍ، ولكن الكريم يُخفيه، واللئيم يُبديه»[٢].

---

(١) «المفرد العلم» لأحمد الهاشميّ (ص٧٧ ـ ٧٨).

(٢) «الفتاوى» (١٠/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

الحذر من تصنيف العلماء بغير علم

قال ابن عقيل ـ رحمه اللَّه ـ:

«ومن عَجَبِ ما سمعتُهُ عن هؤلاء الأحداث الجُهَّال أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه، لكنَّه محدِّث». وقال: وهذا غاية الجهل؛ لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم، وربما زاد على كبارهم».

قال الذهبي معلقًا على هذا:

«أحسبهم يظنُّونه كان محدِّثًا وبس، بل يتخيَّلونه من بابه محدِّثي زماننا، وواللَّه لقد بلغ في الفقه خاصَّةً رتبةَ الليثِ، ومالك، والشافعيِّ، وأبي يوسف، وفي الزُّهد والورع رتبة الفضيْل، وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شُعبة، ويحيى القطان، وابن المدينيِّ،

ولكنَّ الجاهل لا يعلم رُتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره؟!»[١].

شرط جواز الجرح عدمُ قصد التحقير

قال تاج الدين ابن السبكيِّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«كنتُ جالسًا بدِهْلِيز[٢] دارنا، فأقبل كلب، فقلتُ: اخْسأ كلب بن كلبٍ، فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب بن كلبٍ؟! قال: شرط الجواز عدم قصدالتحقير. فقلت: هذه فائدة»[٣].

---

(١) «سير أعلام النُّبلاء» (١١/ ٣٢١).

(٢) الدِّهْليز ـ بالكسر ـ: ما بين الباب والدَّار، والجمع دهاليز.

(٣) «الرفع والتكميل» للكفويِّ (٤٦).

اكسُ ألفاظك أحسنها

قال الإمام السخاوي ـ رحمه اللَّه ـ:

«روينا عن المزيِّ قال: سمعتُ الشافعيَّ يومًا وأنا أقول: فلان كذَّاب. فقال لي: يا إبراهيم، اكسُ ألفاظك أحسنها، لا تقل كذَّاب ولكن قل: حديثه ليس بشيء. ونحوه أنَّ البخاري كان ـ لمزيد ورعه ـ قلَّ أن يقول: كذَّاب أو وضَّاع، أكثر ما يقول: سَكَتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا»(١).

الحذر من تخطئة العلماء بغير علمٍ

ذكر الذهبيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: أنَّ أبا كامل البصريّ قال: سمعتُ بعض مشايخي يقول: «كنَّا في مجلس

(١) «الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التوريخ» (ص٦٨ ـ ٦٩).

أبي خنبٍ، فأملىٰ في فضائل عليٍّ رضي اللَّه عنه - بعد أن كان أملىٰ فضائل الثلاثة، إذ قام أبو الفضل السليمانيُّ، وصاح: أيها الناس، هذا دجَّال؛ فلا تكتبوا وخرج من المجلس؛ لأنه ما سمع بفضائل الثلاثة».

قال الإمام الذهبيُّ - مُعلِّقًا علىٰ هذه القصة -:

«هذا يدلُّ علىٰ زغارة السليماني وغلظته - واللَّه يسامحه!»[1].

علَّمنا مكارم الأخلاق

حدَّث رجل من أهل مَنْبِجٍ قال: «قَدِمَ علينا الحكم بن المُطَّلب بن عبد اللَّه بن المطلب بن حنطب، ولا مالَ معه، فأغنانا كلَّنا فقيل: «كيف ذاك؟!».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٢٤).

قـال : «علَّمنا مكارم الأخـلاق ، فـعـاد غنيُّنا على فقيرنا ، فغَنِينا كُلُّنا !»[١] .

سياسة الناس

قال ابن المُقَفَّع :

«البسْ للناس لباسين - ليس للعاقل بدٌّ منهما ، ولا عيشَ ولا مروءة إلا بهما - : لباسَ انقباض واحتجازٍ من الناس ، تلبسُهُ للعامَّة ، فلا يلقونك إلا مُتَحفِّظًا متشدِّدًا مُسْتَعِدًّا .

ولِباس انبساطٍ واستِئْناسٍ ، تَلْبَسُهُ للخاصَّة الثقات من أصدقائك ، فتلقاهم بذاتِ صدرِكَ وتُفضي إليهم بمصونِ حديثكَ ، وتضع عنك مؤنة الحذرِ والتحفُّظ فيما بينك وبينهم .

---

(١) صيد الكتب لمحَّمد خير رمضان (ص٩٨) .

وأهل هذه الطبقة الذين هم أهلها قليل من قليلٍ حقًّا؛ لأن ذا الرأي لا يُدخل أحداً من نفسه هذا المدخل إلا بعد الاختبار والتكشف، والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد»(١) .

استعمال العبارات الجميلة

قال النوويُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

«وينبغي أن يُستعمل في ذلك الكنايات، ويُعبَّر عنها بعبارةٍ جميلة، يُفْهَمُ بها الغرض، وبهذا جاء القرآن العزيز، والسنن الصحيحة المكرَّمة.

قال اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، وقال تعالى:

(١) «الأدب الكبير والأدب الصغير» لابن المُقَفَّع (ص١٠٥ ـ ١٠٦).

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ من قَبْل أن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والآيات والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.

قال العلماء: فينبغي أن يُستعمل في هذا ـ وما أشبهه من العبارات التي يُستحيا من ذكرها بصريح اسمها ـ الكنايات المفهمة، فيُكْنَىٰ عن جماع المرأة بالإفضاء، والدخول، والمعاشرة، والوقاع، ونحوها»[1].

وقال: «وكذلك يُكَنِّي عن البول والتغوط بقضاء الحاجة، والذهاب إلىٰ الخلاء، ولا يُصَرِّح بالخراءة، والبول ونحوها.

---

(١) «الأذكار» (ص٣٣٤).

وكذلك ذكر العيوب: كالبرص، والبَخَر[١]، والصُّنان[٢]، وغيرها - يُعبر عنها بعبارات جميلة يُفهم منها الغرض.

ويلحق بما ذكر من الأمثلة ما سواه»[٣].

مكارم الأخلاق

قال ابن حَزم - رحمه اللَّه -:

«من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كُلِّها، واستحقاق الفضائل بأسرها - فلْيَقتَدِ بمحمدٍ ﷺ - وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه، أعاننا اللَّه على

---

(١) البَخَر - بفتحتين -: نَتْن الفم، وبابه طَرِبَ، فهو أَبْخَر.

(٢) الصُّنان - بالضمِّ: ذَفَر الإِبْط.

(٣) «الأذكار» (ص ٣٣٤).

الاتِّساء به بمَنّه، آمين»[1] .

مدرسة الأخلاق

قال الإمام ابن القيم ـ يرحمه اللَّه ـ:

«وكثير من الناس يتعلَّم المروءة ومكارم الأخلاق من الموصوفين بأضدادها، كما رُوِيَ عن بعض الأكابر أنه كان له مملوك سَيِّء الخُلق، فظٌّ، غليظٌ، لا يُناسبه، فسُئل عن ذلك فقال: أَدْرُسُ عليه مكارمَ الأخلاق!

وهذا يكون بمعرفة مكارم الأخلاق في ضدِّ أخلاقه، ويكون بتمرين النفس على مصاحبته ومعاشرته، والصبر عليه»[2] .

---

(١) «الأخلاق والسير» (ص٢٤).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠١).

سيئ الخلق أشقى الناس

قال أبو حازم ـ رحمه اللَّه ـ:

«السيِّئُ الخلق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجتُهُ، ثم ولدُهُ، حتَّى أنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرورٍ، فيسمعون صوته، فيفرون عنه فرقًا منه، وحتى أن دابَّته تحيدُ؛ ممَّا يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتَّى إن قطَّه ليفرُّ منه»(٣).

ابن قدامة يقتل خصمه بالتبسم

من عجائب ماجاء في ترجمة عبد اللَّه بن أحمد بن محمد بن قدامة، أنه كان لا يُناظر أحداً إلا وهو

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٩٩).

يتبسَّم، حتى قال بعض الناس: «هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسُّم»[١].

الأخلاق أرزاق

قال حافظ إبراهيم:

فإذا رزقتَ خَليقةً محمودةً
فقد اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأرزاقِ
فالنَّاسُ هذا حظه مالٌ، وذا
علمٌ، وذاك مَكَارمُ الأخلاقِ
والمالُ إن لمْ تَدَّخِرْهُ مُحَصَّنًا
بالعِلْمِ، كانَ نِهايةَ الإمْلاقِ[٢]

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ١٣٧).

(٢) الإملاق: الفقر، يقال: أمْلَقَ الرجل: إذا افتقر.

والعِلمُ إن لم تَكتنفه شمائلٌ[١]
تُعْليه، كان مَطيَّةَ الإخْفاقِ
لا تَحْسَبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحدَهُ
مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ[٢] بخَلاقِ[٣]

السفرُ يُسفر عن أدب الناس

قيل لبعض الكرماء: «كيف اكتسبت مكارمَ الأخلاق والتأدُّب مع الأضياف؟» فقال: «كانت الأسفار تُحْوِجُني إلى أن أفد على الناس، فما استحسنتُه من أخلاقهم اتَّبعتُهُ، وما استقبحتُهُ تركتُهُ»[٤].

(١) الشمائل: الأخلاق.
(٢) رَبُّهُ: صاحبُهُ.
(٣) «جواهر الأدب» للهاشميِّ (ص٤٩٥).
(٤) «بهجة المجالس» (ص١٥) للأثريِّ.

البشاشة خيرٌ من القِرى

من جميل ما قيل في الضيافة من الأبيات:

إذا المرءُ وَافَى منزلَكَ قاصدًا
قِراك وأَرْمَتْهُ لديْكَ المسالكُ

فكنْ باسمًا في وَجْهِه مُتَهَلِّلاً
وقلْ مَرْحَبًا أهلاً ويومٌ مباركُ

وقدِّمْ له ما تستطيعُ منَ القِرَى
عجُولاً، ولا تبخل بما هو هالكُ

فقد قيل بيتٌ سالفٌ مُتقدِّمٌ
تداولهُ زيدٌ وعمرٌو ومالكُ

بشاشةُ وَجْهِ المَرْءِ خيرٌ من القِرَى
فكيف بمَنْ يأتي به وهو ضاحكُ؟[1]

---

(١) المرجع السابق (ص١٥).

آداب المضيف

ومن آداب المضيف:

«أن يحدِّث أضيافه بما تميل إليه نفوسُهُم، ولا ينام قبلهم، ولا يشكو حاله بحضورهم، ويبش عند قدومهم، ويتألم عند وداعهم، وألا يُحدِّث بما يُرَوِّعُهُم به، فينبغي للمُضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن، ولا يغضب على أحدٍ بحضورهم، ولا يُنَغِّص عيشهم بما يكرهون، ولا يَعبس بوجهه، ولا يظهر نكداً، ولا ينهر أحداً، ولا يُوَبِّخه بحضرتهم، بل يُدخل على قلوبهم السرور بكلِّ ما أمكن»[١] .

---

(١) المرجع السابق (ص١٦).

آداب الضيف

وأمَّا آداب الضيف:

فينبغي أن يوافق المُضيف ولا يعاكسه، وينبغي ألا يسأل صاحبَ المنزل عن شيءٍ من داره سوىٰ القِبلة، وموضع قضاء الحاجة، وألا يخالفه إذا جالسه في مكانٍ أكرمه به، وإذا رأىٰ صاحب المنزل قد تحرَّك بحركة فلا يمنعه منهما[١].

زد في الضرب، وزد في الحديث

قال الذهبيُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

قال يعقوب بن إسماعيل الهروي عن صالح بن محمد الحافظ: «سمعت هشام بن عمَّار يقول: دخلتُ

(١) المرجع السابق ص (١٧، ١٨).

على الإمام مالكٍ، فقلتُ له: حدِّثني. فقال: اقرأ. فقلتُ: لا بل حدِّثني. فقال: اقرأ. فلمَّا أكثرت عليه قال: يا غلامُ، تعالَ اذهب بهذا، فاضربْه خمسَ عشرة. فذهب بي فضربني خمسَ عشرةَ دِرَّةً[1]، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته. فقلتُ له: لِمَ ضربتني خمسَ عشرةَ دِرَّةً بغير جُرمٍ؟[2]، لا أجعلك في حِلٍّ. فقال: فما كفَّارتُهُ؟ قلت: أن تحدِّثني بخمسة عشر حديثًا. قال: فحدَّثني بخمسة عشر حديثًا.

فقلتُ له: زد في الضرب، وزد في الحديث. فضحك مالك وقال: اذهب»[3].

---

(١) الدِّرَّة - بالكسر -: التي يُضرب بها.
(٢) الجُرمْ - بالضمِّ: الذَّنْب.
(٣) «السير» (١١/ ٤٢٩).

تربية الأولاد

الاسم يدلُّ على المسمَّى

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«فقلَّ أن ترى اسمًا قبيحًا إلا وهو على مسمًّى قبيح، كما قيل:

وقلَّ أن أبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ
إلاَّ ومعناهُ لو فكَّرْتَ في لَقَبِه

واللَّه - سبحانه وتعالى - بحكمته في قضائه وقدره، يُلْهِم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها؛ لتناسب حكمته - تعالى - بين اللفظ ومعناه، كما تناسبت بين الأسباب ومسبباتها.

قال أبو الفتح ابن جني: ولقد مرَّ بي دهرٌ وأنا

أسمع الاسم لا أدري معناه، فآخذ معناه من لفظه، ثُمَّ أكشفه، فإذا هو ذلك بعينه، أو قريب منه، فذكرت ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه - فقال: «وأنا يقع لي كثيراً»[١].

* * *

(١) «تحفة الودود» لابن القيم (ص٩٢).

الباب السادس
واحة العلماء

من شروط العالم

قال الإمام الشاطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

«والعالم[1] إذا لم يشهد له العلماء، فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم، حتى يشهدَ فيه غيره، ويعلم من نفسه ما شُهِدَ له به، وإلا فهو على يقينٍ من عدم العلم، أو على شكٍّ، فاختيار الإقدام على هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى؛ إذا

(١) قال الألباني ـ رحمه الله ها هنا بعد ما أشار إلى الاعتصام ـ: تأمَّلوا لم يقل: «طالب العلم» انظر «الصحيحة» (٢/ ٧١٣)، الاستدراك رقم (١).

كان ينبغي له أن يستفتي في نفسه غيره، ولم يفعل وكان من حقِّه ألا يُقْدِمَ إلا أن يقدمَهُ غيره، ولم يفعل»[١] .

صفة العالم الراسخ

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن العالم الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينَهُ، ولا قدحتْ فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تَستَفِزُّهُ الشبهات، بل إذا وردت عليه، ردَّها حرس العلم وجيشُهُ مغلولةً مغلوبةً»[٢] .

(١) «الاعتصام» (٣/ ٩٩).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤٠).

التفريق بين العلماء والخطباء والوعاظ

قال ابن مسعود ـ رحمه اللَّه ـ:

«إنكم في زمانٍ كثير علماؤه، قليلٍ خُطباؤه، وإنَّ بَعْدَكُمْ زمانًا كثيرًا خطباؤه، والعلماء فيه قليل»[1].

قد علِمَ كل أناس مشربهم

قال الذهبيُّ ـ رحمه اللَّه ـ:

قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد»: «هذا كتبته من حفظي و غاب عن أصلي: أن عبداللَّه بن عبد العزيز العمري العابد كتب إلى مالكٍ يَحُضُّهُ على

(١) رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد» (ص٣٤٦)، والطبرانيُّ في «الكبير» (٩/ ٨٠١)، وصحَّحه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥١٠)، وقال الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ في تخريج كتاب «العلم» هذا موقوف، صحيح الإسناد.

الانفـراد والعـمـل، فكتب إليـه مـالك : إن اللّه قـسم الأعمـال كـما قـسم الأرزاق، فـربَّ رجلٍ فُـتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد.

فنشرُ العلم أفضل أعمال البرِّ، وقد رضيت بما فتح اللّه لي فـيـه، ومـا أظنُّ مـا أنا فيه بدون مـا أنت فـيه، وأرجو أن يكون كلانا على خيرٍ وبرٍّ»[١].

من صفة الفقيه

قال العلامة ابن القيم ـ يرحمه اللّه ـ:

«الفـقـيه مـن نظر في الأسبـاب والنتـائج، وتأمَّل المقاصد»[٢].

---

(١) «تاريخ الإسـلام» للذهبيِّ حـوادث (١٧١ ـ ١٨٠)، (ص٣٢٩).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٩٦).

أخبر من وراءك أنّ مالكًا لا يدري

أتى رجلٌ من الأندلس إلى الإمام مالك، وسأله عن اثنتين وأربعين مسألة، فأجاب عن اثنتين، وقال في الأربعين: لاأدري، فتعجب الرجل، ثم قال: «أنت مالك ولا تدري؟!» قال: «نعم، وأخبر من وراءك أنّ مالكًا لا يدري»[١].

عدم التسرُّع في النفي العام

قال الحافظ ابن عساكر ـ رحمه اللَّه ـ:

«إنَّ الزهريَّ حصلت له حادثة طريفة في ذلك، فذكر أن واعظًا ذكر حديثًا، فقال له الزهريُّ: لم يرد هذا في سنَّة النبي ﷺ، فجلس الواعظ، فقام غلام

(١) «معالم في طريق طالب العلم» للسدحان (ص٢٧٤).

فقال: يا إمام قال: نعم. قال: أحفظت السُّنَّة كلها؟ قال: لا. قال: أحفظت ثُلُثَها؟ قال: لا. قال: أحفظت شطرها؟ قال: لا. قال: هَبْ[1] أنك حفظت شطرها، فاجعل حديث الشيخ في النصف الذي لم تحفظه! فسكت الزُّهريُّ، وأقر بقوة حجة هذا الصبي»[2] .

قيدٌ يرفعُ عنك الملامة والعتب..
على حسب علمي !

كان الشيخ الألباني - رحمه اللّه - في مُخَيَّمه بمِنًى في حج عام ١٣٩٨ هـ فسأل أحدهم سؤالاً، وذكر فيه تضعيفًا مطلقًا لحديث وقال: لم يَرِدْ له طريق صحيح. فقال له الشيخ: «أمَّا قولك: لم يَرِدْ هذا، فقد يكون

(١) هَبْ : فعل أمر جامد بمعنى: ظُنَّ وافترضْ.
(٢) ترجمة الزُّهْريِّ في «تاريخ دمشق» (ص١٥٤).

كذبًا على النبي ﷺ؛ لأنه قد يرد من طريق صحيح لا تعلمه أنت، فقولك بهذا النفي العامّ يُعتبر تكذيبًا لكلام النبي ﷺ؛ فقل: على حسب علمي»[١] .

فرض الجواب على من يعلم
وفرض السكوت على من لا يعلم

قال الإمام السيوطي ـ رحمه الله ـ:

«الجواب على من علَّمه اللَّه فرض، كما قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ **أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِم** ﴾ [البقرة: ٣٣] .

كما أن السكوت على مَن لا يعلم فرض، كما قالت الملائكة: ﴿ **لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا** ﴾ [البقرة: ٣٢]»[٢] .

---

(١) «معالم في طريق طالب العلم» للسدحان (ص٢٦٥ ـ ٢٦٦) .
(٢) «الحاوي» (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .

العالم لا يفرح بكثرة الناس، ولا يحزن إذا قلّوا

روىٰ أيوبُ بن سويدٍ عن الأوزاعي قال: «مات عطاءُ بن أبي رباحٍ يومَ مات، وهو أرضىٰ أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهدُ مجلسه إلا تسعةٌ أو ثمانيةٌ»(١).

هذا مجلسُ سوءٍ، فلا تعد إليه

قال عبد الرحمن بن مهدي ـ رحمه الله ـ:

«كنت أجلسُ يومَ الجُمُعة، فإذا كثر الناس فرحتُ، وإذا قلَّ الناس حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء؛ فلا تعد إليه. فما عُدت إليه»(٢).

---

(١) «السير» (٥/ ٨٤).

(٢) «السير» (٩/ ١٩٦).

بئست الخصلة في أهل العلم!

قال الإمام أحمد لطلابه ـ رحم الله الجميع ـ:

«اعلموا ـ رحمكم الله ـ أنَّ الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئًا من العلم، وحُرِمَه قُرناؤه وأشكاله حسدوه، فرموه بما ليس فيه، وبِئْسَتِ الخصلةُ في أهل العلم!»(١).

العالم إذا أراد بعلمه وجهَ الله، خافه كلُّ شيء

دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على الإمام حمَّاد بن سلمة، وقعد بين يديه يسأله، فقال: «يا أبا سَلَمَة، ما لي كُلَّما نظرتُ إليك، ارتعدتُ فَرَقًا منك؟!».

---

(١) «السير» (١٠/ ٤٥ـ٥٨)، حاشية (١).

قال: لأن العالم إذا أراد بعلمه وجهَ اللَّه، خافه كلُّ شيء، وإذا أراد أن يكثر به الكنوز، خاف من كلِّ شيءٍ»(١).

الحذر من تتبُّع عورات العلماء

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه اللَّه ـ:

«ليس لأحدٍ أن يتبعَ عورات العلماء، ولا له أن يتكلَّمَ فيهم، فمن عدل عن الحجَّة إلى الظنِّ والهوى فهو ظالم، وكذلك كلُّ من آذى المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا، ومن عظَّم حُرُماتِ اللَّه، وأحسن إلى عباده فهو من أولياء اللَّه»(٢).

---

(١) «ذمُّ المال والجاه» لابن رجب (ص٥٦).

(٢) «المسائل التي لخَّصها محمَّدُ بن عبد الوهَّاب» من «فتاوى ابن تيميَّة» (ص٣٦).

لحوم العلماء مسمومة

قال الإمام الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه اللَّه:

«واعلم يا أخي - وفّقنا اللَّه لمرضاته، وجعلنا ممَّن يخشاه ويتَّقيه حقَّ تُقاته - أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة اللَّه في هَتْكِ أستار مُنتقصهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براءٌ أمرُهُ عظيم، والتناول لأعراضهم بالزُّور والافتراء مرتع وخيمٌ، والاختلاف علىٰ منِ اختاره اللَّه منهم لنشر العلم خُلُقٌ ذميمٌ»(١) .

العالم والجاهل لا يستويان

قال العلامة ابن القيم - رحمه اللَّه -:

«إن اللَّه - سبحانه وتعالىٰ - جعل صيد الكلب

(١) «تبين كذب المفتري» (ص٢٨).

الجاهل ميتةً يحرُمُ أكلُها، وأباح صيد الكلب المُعلَّم[١]، وهذا أيضًا من شرف العلم، أنه لا يُباح إلا صيدُ الكلب العالم، وأما الكلب الجاهل فلا يحلُّ أكل صيده، فدلَّ على شرف العلم وفضله.

قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

---

(١) روى البخاريُّ (١٧٥) ومسلم (١٩٢٩) عن عَديٍّ بن حاتم قال: سألتُ النبيَّ - ﷺ - فقال: «إذا أرسلتَ كلبَكَ المُعَلَّمَ فقَتَلَ فكُلْ، وإذا أكلَ فلا تأكلْ؛ فإنما أمسكَهُ على نفسِه» قلتُ: أرسلُ كلبي فأجدُ معه كلبًا آخرَ؟ قال: «فلا تأكلْ، فإنَّما سَمَّيتَ على كَلْبِكَ، ولم تُسمِّ على كلبٍ آخرَ».

ولولا مزيَّة العلم والتعليم وشرفهما، كان صيدُ الكلبِ المعلَّمِ والجاهل سواءً»[١].

علماء السوء

قال ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ:

«قدم علينا بعض فقهاء من بلاد الأعاجم، وكان قاضيًا ببلده، فرأيت على دابّته الذهب، ومعه أَتوار[٢] الفضة، وأشياء كثيرة من المحرمات، فقلت: أيَّ شيءٍ أفاد هذا العلم؟! بل واللَّه قد كَثُرَتْ عليه الحجج، وأكبر الأسباب قلَّة علم هؤلاء بسيرة السلف، وما كان عليه رسول اللَّه ﷺ، إنهم يجهلون الجملة، وليس يعنيهم سماع حديثٍ، ولا نظر في سير السلف،

(١) «من درر ابن القيم»، جمع وإعداد علي الحلبي (ص١٤٥).
(٢) أتوار: جمع تَوْر: وهو إناءٌ يُشرب فيه.

ويخالطون السلاطين، فيحتاجون إلىٰ التَّزي بزيِّهم، وربُّما خطر لهم أنَّ هذا قريب، وإن لم يخطر لهم، فالهوىٰ غالبٌ بل صادٌّ»(١) .

صفة علماء السوء

قال العلامة ابن القيم - يرحمه اللَّه -:

«علماء السوء جلساء علىٰ أبواب الجنة، يدعون الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلىٰ النار بأفعالهم، لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقًّا، كانوا أوَّل المستجيبين له، فهم في الصورة أَدِلاَّء، وفي الحقيقة قطاع طرق»(٢) .

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢٩١).

(٢) «الفوائد» (ص٦١).

الفتاوى في السياسة الشرعية قاصرة على المجتهد

قال العلامة ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:

«العالم بكتاب اللَّه وسنة رسوله، وأقوال الصحابة فهو المجتهد في النوازل[١]، فهذا النوع الذي يسوغ لهم الإفتاء، ويسوغ استفتاؤهم ويتأدَّىٰ بهم فرضُ الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه يبعث لهذه الأُمَّة علىٰ رأسِ كل مائة سنة من يُجدِّدُ لها دينها»[٢] [٣].

---

(١) يراد بالنوازل: الوقائع والمسائل المستجدَّة، والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم النظريات والظواهر (فقه النوازل) لبكر أبو زيد (١/ ٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١)، وهو صحيح.

(٣) «إعلام الموقعين» (٤/ ٢١٢).

لا يكون الرجل إماماً وهو يُحدث بكل ما سمع

قال الإمام مالكٌ ـ رحمه اللَّه ـ:

«اعلم أنه ليس يسلم رجل حدَّث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا ـ أبدًا ـ وهو يحدِّث بكل ما سمع»[1] .

الأعرابي وابن عُيينة

كان أحد الأعراب يُلازم سُفيان بن عيينة مدَّةً طويلة، يستمع إلى ما يرويه من الأحاديث، فلمَّا أراد الأعرابيُّ السفر إلى بلاده، سأله سُفيان: «ما أعجبك من حديثي يا أعرابيُّ؟».

فقال الأعرابي: ثلاثة أحاديث فقط.

أولاها: حديث السيدة عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ

---

(١) رواه مسلم (٥).

عن النبي ﷺ: «أنه كان يُحبُّ الحلوىٰ والعسل».

وثانيها: حديثه عليه الصلاة والسلام: «**إذا وقع العشاء وحضرت الصلاة، فابدءوا بالعشاء**».

وثالثها: «**ليس من البر الصيام في السفر**»[١].

من دُعابات العلماء

ركب أحد طلبة العلم مع الشيخ الألباني رحمه اللَّه في سيارته، وكان الشيخ يُسرع في السير، فقال له هذا الطالب: خَفِّفْ - يا شيخ -، فإن الشيخ ابن باز يرىٰ أن التجاوز في السرعة إلقاء بالنفس إلىٰ التَّهْلُكَةِ.

فقال الألباني - رحمه اللَّه -: هذه فتوىٰ مَن لم يُجرِّب فَنَّ القيادة.

(١) نوادر من التأريخ (٣/ ١١٥).

فقال الطالب: هل أخبر الشيخ ابن باز؟ قال: أخبره.

فلمَّا حدث الشيخ ابن باز - رحمه اللَّه - بما قاله الألباني - رحمه اللَّه - ضحك وقال: قل له: هذه فتوى من لم يجرِّب دفع الدِّيات[1].

ذاك مثلُ هذا

قال رجل لإياس بن معاوية: لو أكلت التمر تضربني؟ قال: لا.

قال: لو شربت التمر (النبيذ) أخلاط منها، فكيف يكون حرامًا؟!

---

(١) ترجمة السدحان للشيخ ابن باز عن مجلَّة الفقه في الدِّين، العدد الأوَّل (ص٥١).
والصواب هو ما ذهب إليه الشيخ ابن باز؛ لما في السرعة من المخاطرة بالنفس والمال.

قال إياس: لو رميتُك بالتراب أيوجع؟ قال: لا.

قال: لو صببتُ عليك قدراً من الماء، أينكسر عُضوٌ منك؟ قال: لا.

قال: لو صنعت من الماء والتراب طُوبًا فجفَّ في الشمس، فضربتُ به رأسك، كيف يكون؟ قال: ينكسر الرأس.

قال إياس: ذاك مثل هذا![1].

الحمامة والشيخ

كان الفخر الرازي - رحمه الله - يُدَرِّس التفسير في ساحة المسجد صيفًا، إذ بخاطفٍ من الطيور يلحق حمامةً، يريد أن يفترسَها، فلجأت إلى كتف الإمام، والناس ينظرون، فرجع الخاطف خائبًا، وكان بين

(١) «وفيات الأعيان» (١/ ٢٤٧).

الحاضرين الشاعر أبو المحاسن محمَّد بن نصر الدين المعروف بابن عنين الدمشقيّ، فاستأذن الإمام الرازي في أبياتٍ من الشعر، فأذن له، فقال:

جاءتْ سُليمانَ الزَّمان حمامةٌ والموتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خاطفِ

قَرْمٍ[1] لوَاهُ[2] الجوعُ، حتَّى ظلَّهُ بإزائه دومًا بقلبٍ واجفِ

مَنْ نَبَّأ الورْقَاءَ[3] أنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ، وأنَّك مَلْجأٌ للخائفِ؟![4]

---

(١) القَرْم: الذي اشتدتْ شهوتُهُ إلىٰ أَكْلِ اللحْمِ.

(٢) لواه: فَتَلَهُ.

(٣) الورقاء: الحمامة التي في لونها بياض إلىٰ سوادٍ، والجمع وُرْقٌ.

(٤) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٦٠).

قصيدة غرامية في علوم الحديث

نظم الإمامُ أبو العبَّاس الإشبيليُّ[١] - رحمه اللَّه - قصيدةً غَزَلِيَّةً في ألقاب علوم الحديث، تُعدُّ بحقٍّ من أعجب القصائد، عُنِيَ بها العلماء، وكَثُرَ شُرَّاحها، حتَّىٰ قال المقري: «وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب، يطول تعدَادُهم»[٢].

---

(١) هو الإمام المحدِّث شهاب الدين أبو العباس الإشبيليُّ الشافعيُّ، ولد بإشبيلية سنة (٦٢٤هـ)وتفقَّه بمصر علىٰ العزِّ بن عبد السَّلام، وأحمد بن عبد الدائم، وعمر الكرمانيِّ بدمشق.
وكان إمامًا محدِّثًا مُتقنًا، متزهدًا، عابدًا، صالحًا، مهيبًا، تتلمذ علىٰ يديه كثيرٌ من العلماء: منهم الدمياطي، والنابلسي، والبرزالي، والذهبيُّ، وغيرهم وتُوُفِّي سنة (٦٩٩هـ) انظر ترجمته في «مُعجَم الشيوخ» للذهبيِّ (١/ ٨٦)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٤٤٣).

(٢) انظر «نفح الطيب» للمقري (٢/ ٥٣٢).

والقصيدة هي:

غَرَامي صحيحٌ، والرَّجاءُ فيك مُعْضِلٌ
وَحُزني ودَمْعي مُرْسَلٌ ومُسَلْسَلُ

وصَبْري عنك يشهدُ العقلُ أَنَّهُ
ضعيفٌ ومتروكٌ، وذُلِّي أجملُ

ولا حُسْنَ إلاَّ في سماعِ حديثكُم
مُشَافهةً تُمْلَى عليَّ فأَنْقُلُ

وعَذْلُ عذولي منكرٌ لا أُشيعُهُ
وزورٌ وتدليسٌ يُرَدُّ ويُهْمَلُ

وأمري موقوفٌ عليك، وليس لي
على أحدٍ إلاَّ عليك المُعَوَّلُ

ولو كان مرفوعًا إليك، لكنتَ لي
ـ عَلَى رَغْمِ حُسَّادٍ ـ ترقُّ وتعدِلُ

أَقْضي زماني فيك مُتَّصلَ الأسَى
ومُنْقطعًا عمَّا به أتوصَّلُ
وهَأنا في أثواب هَجْركَ
مدرجٌ، تُكلِّفُني ما لا أُطيقُ فأَحْملُ
فمتَّفقٌ سَهْري ووَجْدي وعَبْرتي
ومُفترقٌ قلبي وصَبْري المُبَلْبَلُ
ومُؤْتَلفٌ حُبِّي وشوقي وفكري
ومُخْتلفٌ حظِّي وما منك آملُ
خُذِ الوَجْدَ عنِّي مُسْندًا ومُعَنْعنًا
فغيري بموضوع الهوَى يتعلَّلُ
وإذا نبذ مِنْ مُبْهَمِ الحُبِّ فاعتبرْ
وغامِضُهُ إنْ رُمْتَ شَرْحًا أُفصِّلُ

عــزيزٌ بكم، فَــرْدٌ ذليلٌ بغــيــرِكُمْ

ومــشــهــورُ أوصــاف المُحبِّ التــذلُّلُ

غــريبٌ يُقــاسي البُعْــدَ عنكم، ومــالَهُ

ـ وحــقِّكَ ـ عَنْ دارِ الهَوَى مُــتَحــوَّلُ

فَــرِفْــقًــا بمــقطوع الرســائلِ، مــالَهُ

إليك ســبــيــلٌ لا ولا عنك مَــعْــدِلُ

فــلا زلتُ مَــمْلُوكًــا، ولا زلتَ مــالكًا

ولا زلتَ تعلُو بالتــجنِّي[١] وأنْــزِلُ[٢]

---

(١) التجنِّي: التجرُّم، وهو أن يدَّعيَ عليه ذنبًا لم يفعله.

(٢) انظر كتـاب «شـرف الطالب في أسنىٰ المطالب» لابن قنفـذ (ص٥٨، ٥٩).

وهو أحد شروح هذه القصيدة.

إجابة النداء

قال الساجي:

كان الإمام البويطي - رحمه اللَّه - وهو في السجن يغتسل كلَّ جُمُعة، ويتطيَّب ويغسل ثيابه، ثم يخرج إلى باب السجن، إذا سمع النِّداء؛ فيردُّه السَّجَّانُ، ويقول له: السِّجْن: ارجع رحمك اللَّه! فيقول: اللَّهُمَّ، إني أجبتُ داعيَكَ فمنعوني(١).

عظة وعبرة

قال أبو بكر الإسماعيلي:

محمد بن عُقبة الشيباني كان كَبُر سِنُّهُ وضعف،

(١) «طبقات الشافعيَّة» (٢/ ١٦٥) بإفادة كتاب من بطون الكتب لجامعه يوسف العتيق (١٥٥).

ولازم بيتـه، وكـان له بنون، وكـان من جملة شـيوخ الكوفة، فقـال لبنيه ليلةً: أريد زوجة في هذه الليلة؟ فقالوا له: إذا كان غداً نُزوِّجك.

قال: فما زاد إلا لَجَاجًا.

قال: فقال أولادُهُ بعضهم لبعض: إن الشيخ قد خَرِفَ وزال عقلُهُ، فليس لنا إلا أن نبلغَهُ مرادَهُ.

قال: فزوَّجناه امرأةً من قبيلتنا، وخلَّينا بينه وبينها، قال: فقامت امرأتُهُ واغتسلت وتبخَّرتْ، ولبستْ ثيابًا نظيفة، ونامت مع الشيخ محمَّد بن عُقبة، فلمَّا كان في بعض الليل، صاحتْ وقالت: خُذوا شيخكم. قال: فاجتمع أولادُهُ فوجدوه ميتًا على صدرها، وكان قد مطيها، ثمَّ حفظوا المرأة، فحملت ووضعت بغلام، فسموه محمَّدًا، وهو محمد بن عُقبة.

قلت: انظر كيف أمدَّ اللَّه في عمر هذا الشيخ الكوفيِّ وحفظه، حتَّى هذه الليلة العجيبة، ثم رزقه اللَّه هذا المولود؟! [١] .

قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو أنَّ الماء الذي يتكون منه الولد أهرقته على صخرةٍ ـ لأخرج اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ منها ـ أو لخرج منها ولد ـ وليخلقنَّ اللَّه نفسًا هو خالقها**»[٢] .

---

(١) سؤالات حمزة بن يوسف السهمي للدَّارقطنيِّ (ص٧٩ ـ رقم ١٣)، بإفادة كتاب من بطون الكتب (١٦١) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، وهو في «الصحيحة» للألبانيِّ (١٣٣٣) .

موعظة شيخ

قال عبد الرحمن بن عمر الكنديُّ:

«صاحبت بعض الشيوخ بُرهةً، فحين أردت مفارقته قلت له: عِظْني موعظةً أنتفع بها؛ فأنشدني:

أَيَا فاعلَ الشَّرِّ، مَه[1] لا تَعُدْ
ويا فاعلَ الخَيْرِ عُدْ ثُمَّ عُدْ
فَمَا سَادَ عَبْدٌ بغَيْرِ التُّقَى
ومَنْ لم يَسُدْ بالتُّقَى لم يَسُد»[2]

* * *

---

(١) مَه: اسم فعل أمر، معناه: انكفِفْ عمَّا أنت فيه.

(٢) «تاريخ وتفسير» (ص١٣٥) بإفادة كتاب من بُطون الكتب ـ أيضًا ـ (١٩١).

الباب السابع
الفتاوى

عهود باطلة

سُئِل الإمام السيوطيُّ ـ رحمه اللَّه ـ عن رجلٍ من الصُّوفية أخذ العهد على رجلٍ، ثم اختار الرجل شيخًا آخر، وأخذ عليه العهد، فهل الأوَّلُ لازمٌ أم الثاني؟

فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«لا يلزمُهُ العهد الأوَّلُ، ولا الثاني، ولا أصل لذلك»[1] .

---

(١) «الحاوي للفتاوى» (١/ ٢٥٣).

دَوَاءُ النسيان

سُئل الإمام البخاري ـ رحمه اللَّه ـ عن دواء النسيان، فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«مُداومة النظر في الكتب»(١) .

المولد

سُئل الإمام أبو حفصٍ تاج الدين الفاكهاني عن حكم إقامة المولد: هل له أصل من الدين؟

فقال ـ رحمه اللَّه ـ:

«أمَّا بعدُ، فقد تكرَّر سؤالُ جماعةٍ من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأوَّل، ويُسمُّونه المولد، هل له أصل من الدين؟

---

(١) «معالم في طريق طالب العلم» (ص٣١) .

وقصدتُ الجواب على ذلك مبينًا، والإيضاح عنه معينًا، فقلتُ - وبالله التوفيق -: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب الله، ولا سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا يُنْقَلُ عملُهُ عن أحدٍ من علماء الأُمَّة الذين هم القُدْوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدِّمين، بل هو بِدعة، أحدَثَها البطَّالون، وشهوةُ النفس اعتنى بها الأكَّالون»(١).

مَن يُقتل في مواجهة مع الحُكام لا يصح أن يُقال فيه: إنه شهيد

سُئل الألباني - رحمه الله -: هناك - يا شيخ - من يقول: إنه من يُقتل الآن على الساحة المِصرية بين

(١) مقدمة رسالة الورد في حكم المولد لأبي حفص تاج الدين الفاكهاني.

الحكومة والإخوة، بعض الإخوة يقول: إنه شهيد، والحديث يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار»؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ: «أولاً الجواب عن هذا السؤال باختصار: أن من يُقتَلُ في هذه المُجابهات التي تقع بين الدولة التي لا تحكم بما أنزل اللّه وبين بعض أفراد الشعب الذي يطالب الدولة بأن تحكم بما أنزل اللّه، فما يقع من قتلى بين الطرفين، فليس فيهم من يصحُّ أن يُقال فيه: إنه شهيد».

ثم فصَّل في التفريق بين الشهادة الحقيقية والشهادة الحكمية، وقال بعدها:

«هؤلاء الذين أنت تسأل عنهم لا يصدق فيهم لا الشهادة الحقيقية ولا الشهادة الحكمية»[1].

---

(١) شريط من «سلسلة الهدى والنور» رقم (٤٧٠/ ١).

أهمّ مشاكل العالم

سُئل العلامة ابن باز - رحمه اللَّه -: ما أهمُّ المشكلات التي تواجه الإنسان في عالم اليوم؟

فأجاب: «أهمُّ المشكلات فيما أعتقد قلَّة وجود علماء السُّنَّة في بلاد الإنسان المسلم، يُوضِّحون له العقيدة الصحيحة، ويُرشدونه إلىٰ أسباب النجاة، ويُحذِّرونه من أسباب الهلاك علىٰ ضوء الأدلَّة الشرعية من كتاب اللَّه، وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام -.

ثم بعد ذلك من أعظم المشكلات التي تواجه المسلم قلَّة الأخيار الذين يطمئن إليهم، ويتأسَّىٰ بأخلاقهم الفاضلة، وسيرتهم الحميدة، ويُعينونه علىٰ طاعة اللَّه.

وينبغي لكلِّ مؤمن أن يحرص على سؤال أهل العلم المعروفين بالعقيدة الصحيحة، والسيرة الحميدة، ويلزمهم؛ حتَّى يتفقَّه في دينه، ويحرص على صُحبة الأخيار، ويحذر صحبةالأشرار، حتَّى يلقى اللَّه - سبحانه وتعالى - على ذلك»[1] .

رؤية النبي ﷺ في المنام

سُئل الشيخ صالح الفوزان - حفظه اللَّه -: ورد عن الرسول ﷺ قوله: «**من رآني في منامه فقد رآني حقًّا؛ فإن الشيطان لا يتمثَّل بي**»[2] .

يدَّعي بعضُ الناس أنَّ النبيَّ ﷺ جاءه في المنام وأعطاه وِرْدًا يُكرِّره كذا مرة (أي: يتعبَّد به، ويُخبر به

(١) «مجلَّة البحوث الإسلامية» (ع١٤/ ١٣٣ - ١٣٤).
(٢) رواه البخاريُّ (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦) عن أبي هُرَيْرَةَ.

الناس) وهذا ينافي الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فهل يُصدَّق مثلُ هذا أم يُكذَّب؟

فأجاب ـ حفظه اللَّه ـ:

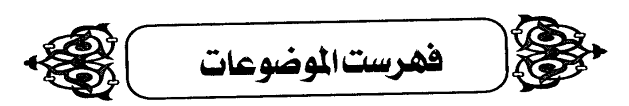
«رؤية النبي ﷺ في المنام قد تحصل، والحديث الوارد فيها صحيح، لكن هذا في حق من يعرف الرسول ﷺ، ويعرف صفاته ﷺ، فإن الشيطان لا يتشبَّه به في صفاته وشخصِه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فمن كان يعرفه حقَّ المعرفة ويُميِّزه حقَّ التمييز عن غيره، فهذا قد يراه في المنام، أما الذي لا يعرف صفات رسول اللَّه ﷺ، ولا يُميِّز شخصيَّتهُ الكريمة ـ

(٣) «المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان» (١/ ٧٣ ـ ٧٤).

عليه الصلاة والسلام -، فهذا يأتيه الشيطان، ويدَّعي أنه الرسول ﷺ؛ يُضلِّله عن دينه، فليس الأمر على إطلاقه.

أمَّا الناحية الثانية: وهي أن الرسول ﷺ علَّمه وِرْدًا في رؤياه، فهذا كما تفضَّل السائل.

* * *



فهرست الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الباب الثاني: العقيدة

الباب الثالث: الرقائق

الباب الرابع: الدعوة إلى الله

الباب الخامس: الأدب

الباب السابع: الفتاوى